

(3)

اختصاص و شغور

الأبعاد النفسية لانتهاك الأطفال جنسياً:

أثار حادثة انتهاك الأطفال جنسياً في حضانة المعادي وغيرها، بصرف النظر عن الأبعاد الكثيرة التي تناولتها الصحافة مؤخراً لأننا بصدد (مرض جنسي) موجود في كل أنحاء العالم لكن نظراً بالطبيعة الخاصة بنا فإن ثمة أبعاد يجب توضيحها فيما يخص الرجال المصابون بهذا المرض دون سواهم، التنكر، الإنكار، وبالتالي التغطية ونزع الحساسية عنه مما يوحي بأن الأمر عادي، ومجرد ظاهرة ليس فيها ما يشين، ومن ثم ليس مرضاً يستحق العلاج.

كما أن هناك حالات يتم فيها الاغتصاب من أكثر من رجل لطفل أو مراهق، وهم تحت تأثير الخمر وعندما يفيقون ويدركون بشاعة الأمر غالباً ما يقتلون ضحيتهم.

حينما يتم انتهاك الأطفال جنسياً أي اغتصابهم قهراً وعنفاً، تنتشر الضحايا المشوهة نفسياً، جنسياً ونفسياً في أرجاء الأرض يعيشون فيها فساداً، يتقممون لكيانهم المجروح بالعبث بأعراض الآخرين منتهكين حرمة الأطفال، بنفس الطريقة التي ربما أُنْتَهَكُوا بها، كما قال لي أحد الضحايا المرض: إنني أكره البشر أجمعين، كلهم، ولا أثق في أي منهم، وأود الانتقام بشتى الطرق من كل من تتاح لي فرصة الاختلاء به، وبصرف النظر عن طبيعته، جنسيته، جنسه، ودون التفكير

مطلقاً في جدوى العالم الغريب والمتشابك والمعقد من الشروة الزائفة ،
 والمظاهر الكاذبة ، القهر المعنوي ، التسلط ، العنف اليومي ، الجنسيات
 المختلفة ، إلى العالم الحقيقي حيث يعيش الناس في حياتهم اليومية
 بكل ما يشوبها من مشكلات وأخطاء . .

نعم انتهاك الأطفال والاعتصاب الجنسي يتم يومياً في كل أنحاء
 العالم ويتعامل معه أطباء النفس الشرعيون والأطباء وعلماء
 الاجتماع والمسؤولون ورجال القانون - حتماً - بشكل مختلف تماماً
 عما يحدث عندنا . إننا أمام ظاهرة شاذة فاقت التشخيصات
 والتصورات من إرهاب المعلم والمربي وهتك أعراض الأطفال .

هناك بالفعل نوعان من أنواع الانتهاك الجنسي للأطفال نوع يتعلق
 بالهوس ، بالحرية الشديدة المتاحة ، بالانحلال ، بعكس ما يعتقد أنه
 نتيجة الكبت والقهر .

هناك منطق القهر التلذذ بالانتهاك السيطرة القوة القسر العنف ،
 المدرس أو (المستر) تكون سيطرته على رغباته مفقودة في إذلال
 الإنسان والحضارة والاعتداء الجنسي على الأطفال يأتي من تحرر
 شديد فالنساء متاحة والدعارة متاحة السؤال الآن لماذا؟! وهناك كل
 العوامل والانفتاحات ، لم التوجه نحو طفل بريء لهتك عرضه ثم
 جلد أبيه؟ . . أن المسألة في رأيي تتعلق بالمجتمع ككل والتغيرات
 الرهيبة التي حدثت فيه مما أثر على تركيبته .



إنها نوع من (الفيتشية) التعلق الجنسي المريض بشيء يكون هنا (الطفل) أم انه مرض نفسي جنسي آخر يصطلح عليه بال (بيدوفيليا PAEDOPHILIA) وهو الشذوذ الجنسي الذي يقوم على أساس تحقيق النشوة عن طريق الاتصال الجنسي بالصغار وهناك نظريات علمية تفسر هذا الفعل الغريب أهمها ما يسمى بـ(العقدة اللب CORE COMPLEX) حيث هناك داخل كل فاعل جنسي بالصغار، يرقد في تكوينه النفسي مكونات وعوامل تستقي أطوارها الأولى من مراحل نموه البدائية (وهذا ما يجعل أمرا مثل ذلك منتشرًا ومقبولًا، مليئًا بالغموض وبالتخفي، وبالإخفاء وبالفرحة، بالتلذذ ويكون جزءًا من التكوين النفسي والاجتماعي والثقافي لتلك الشعوب في الجزيرة العربية) بمعنى أن الأم والأب والمجتمع، المدرسة (ناظرها ومدرسوها) يطبعون الأسس الأولى لتطور الإنسان ونمو شخصيته والثمرة تظهر في ممارساته المختلفة بدءًا من سن المراهقة وحتى مماته، فهو هنا تحديدًا، مضطرب وجدانيًا، مشحون بانفعالات شبقية تسيطر عليه بشدة، تهيمن على تفكيره توحى إليه بضرورة أن "يملك" أن "يحتوي" أن "يتلبس" ذلك الطفل أن يحترق كيانه وأن يؤدي هذا إلى انسحابه إلى داخل نفسه المعذبة (غالبًا أنها عذبت في طفولتها بالحرمان من الحنان، وعذبت في مراهقتها بتناقضات الأشياء وصلف المجتمع، غياب القدوة، وانعدام الصدق، وسيطرة التخلف بكل أبعاده) يؤدي كل هذا إلى حب مرضي للذات، نرجسية فظيعة،

تحوي في طياتها كافة وفقر نفسي ووجداني ، ضعف فكري وإحساس دفين بعدم الأهمية بالوضاعة واحتقار الذات (الثروة والجاه من حولك ، الناس في العمل يحترمونك ، لكنك ، أمام نفسك مجرد حشرة ، حينما تنظر إلى المرأة تتذكر كيف ربّتك الخادمة الآسيوية ، وكيف أغتصبك جارك أو خالك أو ابن الحي الأكبر ، وتتذكر أنك رغم نجاحك الوظيفي تدري في أعماقك أنك وضيع ، لاشيء ، حتى في تلك اللحظة التي تنام فيها مع زوجتك في الليل تقوم بواجبك بآلية رتيبة تسكب فيها ماء الحياة دون تلذذ لا يكون إلا بالسيطرة على الآخرين ، باختراقهم ، بتملكهم وبإبادتهم ، نعم ، حتى أتمكن من التعويض).

خلال عملي كطبيب نفسي ما يفسر على الرغم من عكس ما قد يعتقد البعض يعاني هؤلاء الرجال/ نصف الرجال/ أشباه الرجال من العجز الجنسي والرغبة العارمة في التفوق والانزعاج الخائف والعبيط لفقدان القدرة الجنسية ربما لأنها هي كل ما بقي رغم العز والجاه لأنها الرمز الوحيد الحي المليء بالدماء والمنتشرة فيه الأعصاب الذي يدل على الحياة وعلى إمكانية السيطرة على الآخرين ، على الأطفال ، على أحداث الألم وإحداث الضجة أو شراء الصمت ونشر القسوة .

العامل الآخر والهام الذي يعاني فيه الإنسان ، الخوف من الآخر الغريب ، العدوانية تجاهه دون ما سبب ، فقدان التماسك الأسرى

والسلام الداخلي؟ لماذا لا بد من العدوان عليه، من تحطيمه تماماً، هذه العدوانية تأخذ الشكل الجنسي، ومن ثم تتحول الرغبة من التدمير إلى إحداث الألم، التعذيب، الانتهاك، القهر، وهي (سادية) بذور العنف البشري الخالص.

كل هذه الرؤى والأحاسيس، تلك الرغبات العنيفة والخوف المرضي من الفناء، من الحرمان، هذا التوقع النرجسي المريض المقرون بالاكثاب الحاد واحتقار النفس، ثم تلك العدوانية البشعة وما هو أبعد منها: التلفيق، التواطؤ، يكاد يتلخص في (التلذذ الجنسي بإحداث الألم وبالإحساس به - الساد وماسوشية SADOMSOCHISM) كل تلك المكونات وعناصر الطبخة البشرية المتحركة تحت غطرة وعقال بأكثر من ألف وجه متغضبن وتحت غطرسة مادية وتكييف هواء وخواء داخلي منقطع النظير.

إن الشاذ جنسيا المنتهك أعراض الأطفال بنرجسية الشديدة، بحبه وهو يعدل من وضع الغطرة متلفحاً بالعطور الهندية كأنه السيد المطاع يبحث عن ضحية يغرق فيها نشوته التي هي ليست جنسية بقدر ما هي شخصية إنه يحاول تحقيق ذاته عن طريق انتهاك عرض طفل، يرضي غرور ذاته المشروخة دون الاعتبار لفردية أو إنسانية ضحيته، أي نوع من البشر هذا، أقرب إلى الحيوان الذي يروع ضحيته من أجل أن يشرب دماؤها أو أن يلجها فقط من الخلف.

إن الفقر في العلاقات الإنسانية، وعد القدرة على التواصل الاجتماعي، وانعدام الحياة بشكلها الطبيعي من لقاء وتبادل معرفة وانسجام واختلاف يعود بالإنسان إلى بدائته، إلى أن يكون الإنسان الأول مع الفارق، هذا الوحش الإنساني الحالي، هنا تكمن حدة الصراع النفسي وتعلي درجة توتره وتزداد حدة انفعاله، هو خائف من فقدان تلك الأشياء وهي أيضاً من أسباب تعاسته لأنه وبسبب طفولته وتركيبته، بسبب مجتمعه وترتيباته، بسبب نشأته وتربيته لا يتمكن من تحقيق التوازن النفسي اللازم للإنسان الطبيعي، هذا الإنسان شاذ بكل المقاييس وانتهاك عرض طفل ما هو إلا عرض من أعراض توتره الاجتماعي، انفصاله عن ذاته وخوفه الشديد من نفسه ومن الآخرين .

وكما ينتهك الطفل الذكر من الرجل الشاذ يُنتهك أيضاً من المرأة المعقدة التي لها نفس صفات الرجل الشاذ التي ذكرناها سابقاً غير أنها تغتصب طفلاً في الثامنة بتعريته وضغطه على جهازها التناسلي بشدة وبوقاحة إلى درجة عبر عنها أحد الضحايا قائلاً (كنت خائفاً إلى درجة كبيرة، أحسست بالرعب الشديد والهلع والفرع أحسست أن هذا الشيء سيبتلعني وان تلك الغابة السوداء - من العانة - ستغرقني) .

الشاذ جنسياً عدواني تجاه الأطفال، انه أسلوبه في الحياة ن بهجة في سبل الدنيا، (أحداث الألم والتلذذ به)، وإذا كان يحقق اللذة جنسياً،

وهو هنا يستخدم ميكانيزمات الدفاع المرضية مثل الإسقاط PROJECTION والامتصاص INTROJECTION في الإسقاط يعزو الإنسان دوافعه وأفكاره وأفعاله المشحونة بالخوف إلى التغير (الطفل) تهرباً من الاعتراف بها وتخفيفاً لما يشعر به من الإدانة الذاتية والألم والتوتر النفسي هنا أن يصبح هو الطفل المتهك، فهو المعتدي بشكل أو بآخر يتوحد مع ألم وعار وخجل المعتدي عليه، وهو في إطار مجتمعه القاسي جداً يحس كما الطفل أنه (صغير ضئيل، قليل الحيلة K غير سوي جنسياً واجتماعياً، وهكذا دواليك).

وربما لعب دور الجاني والقاسي معاً، فإذا ما ظهر الأب الحقيقي غاضباً مدافعاً تحوصل الجاني على ذاته داخل نواة مجتمعه يرقد في كبسولتها كالأسد الجبان.

وهو - الجاني - إذا ما كان رقيقاً جوبياً تجاه ضحيته فهو يحاول الوصول إلى قرار تلك الأحاسيس المشبعة بأنه (طيب، حنون) وانه خلوق صادق ورائع؟! . . لكن بفعلته تلك - تماماً - يخرج للعالم كله أحاسيسه الطفولية ولأن الوازع الضميري قاسي في عرف الدين والأخلاق فانه يوجه الضربات التي لا تحتمل للطفل وأهله يهاجمه، ينتقم منه، والطفل الضحية قد يكون، دون أن يدري مثير الغضب هذا المريض فهو آمن مستقر متصالح مع ذاته . ووالديه ومحب للدين ومقبل عليها ومن ثم فإنه يحفز الجاني ويدعوه إلى اغتصابه والحنق وأحياناً قتله - كما في حالات كثيرة - .

مما لا شك فيه أن الطفل وأهلـه يعانون الآن من توتر ما بعد الصدمة الذي يترك ندبة من الصعب جداً علاجها، فهي لا تنسى، هي محفورة بالنار على العظام، لكن كل ما يمكن تقديمه هو القليل من درجة وقعها، من شدتها، وكما في الحروب والكوارث وضحايا الاغتصاب والجنس المحرم يمكن عن طريق العلاج النفسي بالحوار والتقديم السلوكي والعلاج المعرفي والاسترخاء والاستدعاء والمهارة في التعامل مع صور الاعتداء البشعة.

في الغرب يعالج الجاني بشتى الطرق، ربما احتجنا إلى هزة عنيفة تخرجنا من صمتنا المريض وعلاقتنا الهزيلة وخواءنا البشع، هذه هي طبيعة الأشياء كما نراها، وهناك حالات عيا دية رأيتها في الغرب وبعض الدول العربية، وهناك تأويلات رحبة، وأفكار تتسع للمزيد لكن الأمر بالغ الضخامة والتعقيد والصعوبة بما يدعوننا إلى الاكتفاء بهذا القدر من التفسير.

اغتناب في قاعة المحكمة:

القضاء
البريطاني يسمح للجاني باستجواب ضحيته، وكأنه يسمح له باغتصابها مرة أخرى على مدى ستة أيام، في قاعة المحكمة وأمام القاضي . المحلفين، البوليس، والناس .

تخلت جوليا ماسون عن حقها في أن تظل هويتها سراً، وأدلت لصحيفة " الديلي ميل " بقصتها الكاملة وبالتفصيل الممل .

جوليا تقول أنها أعلنت قضيتها رغم حساسيتها لتثير الرأي العام، وحتى لا يحدث هذا مرة أخرى لضحية أخرى.

عموماً هناك تساؤلات تحيط بالموضوع، فذات الـ 38 ربيعاً، حتماً تلقت مكافأة مجزية (جداً) لقاء قصتها وصورتها بالبدلة الأنيقة، وهي تقول: أنا لست امرأة على حلّ شعرها، أنا سيدة محترمة!!، نمت فقط مع خمس رجال خلال الـ 38 سنة، تزوجت مرتين وفشلت، والآن أعيش مع صديق أكن له كل مودة عندي طفلان وأتبنى آخرين.

بعد أن سردت حكايتها تبين أن شاباً عمره 20 سنة كان يعاشرها، فجّر شقتها بقنبلة مصنوعة منزلياً، وحكم عليه بالسجن خمس سنوات في سجن خاص بمن هم دون الـ 21 سنة.

تقول جوليا أن (الستون إدواردز) الذي اغتصبها، اغتصبها مرة أخرى في قاعة المحكمة بعدما طرد محاميه العام، ومن ثم حقّ له قانونياً أن يدافع عن نفسه، وأن يستجوب ضحيته في قفص الاتهام وهي جالسة أمامه في مكان الشهود، حدث هذا في (محكمة الأولد بيلي الشهيرة)، كان المُنْتَصَب المُتَّهَم يرتدي نفس الملابس (جينز قذر وسويتر صوف)، نفسها تلك التي كان يرتديها حين اغتصبها في شقته القذرة ذات الرائحة النتنة، نجح (إدواردز) في دفع جوليا إلى البكاء وترك قاعة المحكمة.

على مدى 18 ساعة ، قالت جوليا إنها كل يوم - تعيش نفس أحداث الاغتصاب التي تمت على يدي رجل سادي مريض مقرف مقزز ومثير للاشمئزاز .

العادة أن يسأل محامي المتهم الضحية أسئلة محددة . لكن المتهم هنا يسأل الأسئلة في تعاقب وكأنه يعيد الكرة ويغتصب ضحيته مرة أخرى . . دون ممارسة جنسية ، لكن باستمتاع مختلف ، (ربما كان له طعم مختلف) أمام جمع من الناس ، لدرجة أن أحد رجال البوليس همس في صوت مسموع لرجل الصحافة : " مما لاشك فيه أن إدواردز يستمتع بمساءلة الضحية ، إنه ينتشي جنسياً من التحقق من تفاصيل ما جرى بينه وبينها " .

الرجل جهم الملامح ، له تاريخ وسوابق في العنف والاغتصاب ، يكسب قوته من بيع (الواقعي الذكري) للغواني . . الغريب أن هذه هي المرة الثالثة التي يحقق فيها (إدواردز) بنفسه مع ضحيته فلقد استجوب في الماضي ضحيتين سابقتين ، وعلى الرغم من الحكم عليه بالسجن ؛ فلقد قضى مدة عقوبته وخرج من سجنه غير عابئ إلا بتكرار القصة وبتكرار مشهد المحكمة مستمتعاً بكل لحظة من الفعل ورد الفعل ، مما دفع بوزير الداخلية البريطاني وقتها (مايكل هوارد) إلى دراسة الحالة والتشاور للحيلولة دون حدوث ذلك مستقبلاً ، وحتى لا يتلذذ الجاني بانتهاك معنويات فريسته مرة أخرى بعد التلذذ بجسدها .

لما أودعته القاضية (آن جودارد) الحبس على ذمة التحقيق من أجل فحصه نفسياً ، لم يرفع رأسه ولم ينظر إليها .

قالت له القاضية : (لقد اطلعت على تفاصيل جريمتك الأخيرة ، وعلى تاريخك الإجرامي ، وليس لدي أدنى شك في أنك رجل خطير) .

آخر حادث له كان عام 1984م عندما اغتصب جارته أمام عيني طفلها .

* * *

في لحظة من لحظات المساءلة الطويلة والمرهقة ، انتفضت (جوليا) وسألت (إدواردز) - " حتماً أنك تدرك مدى الرعب والهلع الذي عشته معك " . . لقد قلت لك راجية أنني لا أرغب في ممارسة الجنس معك ، لكنك كنت تُصر على أنني ملكك . . ثم اغتصبني " .

قالت جوليا للصحافة (لقد أُغتصبت مرتين . . مرةً في شقة " إدواردز " القدرة ، ومرة في قاعة المحكمة؟!) .

في أحد أيام ديسمبر الباردة ، قررت جوليا أن تنزح من بيتها في مقاطعة (كنت) ، إلى شقة صديقها في جنوب لندن ، جمعت كل حاجياتها في شنطة ومضت إلى سيارتها التي لم تعمل ، استقلت القطار الذي لم ينته به المطاف عند المحطة التي تود (جوليا) النزول فيها ، فقررت أن تستقل الباص ، جلست على الأريكة تنتظر ؛ اقترب

منها "إدواردز" وطلب منها سيجارة، وهنا أحست بخوف غريزي، بعدم راحة وأعطته سيجارتين، أخذهما ومضى ثم عاد وجلس إلى جوارها، اقترب جداً حتى التصق بها، كانت رائحته النتنة تزكم أنفها ورائحة الخمر تخرج من جوفه تمتزج بعرقه وأنفاسه وتكاد تقتلنها، جاء الباص، اندفعت إليه واندفع هو خلفها، بينها وبينه حقيبة ملابسها. . توقف الأتوبيس بعيداً عن بيت صديقها، رجت السائق أن يمضي بعيداً قرب منطققتها لكنه رفض، فنزلت، ونزل ورائها إدواردز. . "إنه حتماً حظي العاثر" - هكذا قالت جوليا لنفسها.

سرت مسرعة الخطى إلى بيت (بيللي) خطيبها، فوجدت "إدواردز" يضع يده عليها، يحيطها بذراعه ويضمها إليه في عنف.

قالت: (كنت خائفة ومرعوبة جداً. تمنيت لو رأيت أحد أو لو أحداً رأي. . لكن لم يحدث أي من ذلك، شدني جرني إلى حارة جانبية. . وهجم على. . أغرقني بلعابه مقبلاً فمي في وحشية. في محاولة مني لإيقافه، قلت له إنني حامل ومتزوجة ولدي ستة أطفال ينتظرونني، لكنه همس بفحيح كالأفعى (إنس زوجك وأولادك أنت الآن لي فقط)، دفعني إلى بيته، بيت لم أر مثله قط، خرابة قذرة، رائحة عفنة نفوح من كل الأرجاء، سرير مقرز لا تحميه حاشية وإنما رقعة من بطانية قديمة مليئة بالبقع، وسخ وقذارة في كل مكان بلا استثناء.

فتح درجاً متهالكاً بجانب السرير يحوي مجموعة فظيعة من (الواقعي الذكري) . . . وبعض الأغراض الجنسية الأخرى ، وكذلك " جيل " لتسهيل العملية الجنسية . . عندئذٍ تيقنت ثاماً من انه سيغتصبي

في الصباح أخذني - إلى بعض المحلات والدكاكين - فكرت في الهروب ، لكن حقيتي بكل ما أملك من أدوات وبطاقة شخصية ، وثائق ، صور ، لا أحلم بفقدانها كانت هناك ، في شقته تلك القذرة ، أعادني إلى شقته حيث اغتصمني مرة أخرى ، وأخيراً نام . . . انتزعت حقائبي وجريت إلى الطريق العام ولم أتوقف .

دفعني الشجاعة إلى البوليس وذكرت كل شئ تفصيلاً ، بعد أسبوع قبض على " إدواردز " ثم أفرج عنه بضمن محل مسكنه حين التأكد من كلامي . . عن طريق الفحص الشرعي الجنائي للمني ، وأشياء أخرى تأكد تطابق ممارسة الجنس بين جوليا وإدواردز .

في المحكمة سأل إدواردز جوليا أسئلة كثيرة عن حياتها وعما إذا كانت قد مارست الجنس بعد الحادثة التي ادعتها ؛ فأجابت بنعم مع صديقها ، لأنها لم ترد أن تقع فريسة عقدة الاغتصاب ، كما سألها عما إذا كانت - في المحكمة - ووقت الاغتصاب ترتدي (لباسها) الداخلي أم لا . .

من هو بالسفوف إدواردز؟

تصفه الصحافة الشعبية الإنجليزية بأنه مغرور، وقح، شرير، يكره النساء ويدفعه كرهه لهن إلى العنف .

رجل وحيد، قيل أنه حوكم ثلاث مرات بتهمة الاغتصاب، يميل إلى القصر، مليء البنيان . . كانت له من قبل صديقة ضربها بهرواة بعنف، ثم جلدھا بأسلاك الكهرباء على مدى 8 ساعات متواصلة .

رجال المباحث يقولون انه شاطر، مخاتل، وشديد الغرور، ليست له أي علاقة مع امرأة تنطوي على الحب أو الاحترام، بدأ سجل حياته الإجرامي عام 1971م - وقتها كان عمره 17 سنة حينما اعتدى على رجلي بوليس، وفي عام 1981م سجن أربعة أشهر بتهمة الاعتداء بغرض السرقة، في سنة 1984م تسلق بيت الجيران واعتدى جنسياً على جارتة أمام ابنها الذي كان عمره 16 شهراً فقط، وقضى ثلاث سنوات لهذه الفعلة (. . . ؟!) في سنة 1987م بعد الإفراج عنه اتهم بالاغتصاب مرة أخرى لكنه بُرئ بعد أربعة أيام من المحاكمة في (الأولد بيلي) في نفس ليلة الإفراج عنه هجم على صديقته بشكل سادي متهماً إياها بالنوم مع الرجال، وقضى إدواردز ثلاثة سنوات أخرى في السجن، قال أحد الضباط أنه قضى 31 سنة يطارد المجرمين والمغتصبين لكنه لم يلتق شريراً مثل إدواردز قبل ذلك، إنه ظن أن جوليا لن تقر بواقعة اغتصابها للبوليس .

رأي الطب النفسي : أحياناً ما يندفع بعض المعالجين إلى دفع الضحية إلى إعادة معايشة الحدث المرعب مرة ومرة من أجل البوح العلاجي لكن في أحيان كثيرة تكون النتيجة العكس ويصاب المريض بانتكاسة شديدة ، كذلك فإن كثير من النساء يعزفن عن إبلاغ البوليس نظراً لأن السؤال والتحقيق والفحص الطبي يكون بمثابة إعادة اغتصاب ، والأمر كذلك ينطبق على ما يحدث في المحكمة .

فحص المؤلف نفسياً سيدة في العقد الثالث من عمرها عام 1985م في شمال ويلز ، وكان رجلاً قد اغتصبها وهي حامل في الشهر الرابع بجوار محطة للسكة الحديد ، وكان ابنها البالغ من العمر سنتين يجري ، كانت تخشى اصطدامه بالقطار وكانت تخاف الإجهاض ، فاستسلمت ، ولما أبلغت البوليس أقرت بان أسئلة المحققين بما تحمله من شكوك قد أرهقتها نفسياً إلى درجة مماثلة للاغتصاب ، ثم كان الكشف الطبي النسائي غاية في القسوة عليها خاصة وأنها حامل ، ثم جاء مشهد المحاكمة بكل ما يحويه من تناقضات كما ذكرنا سابقاً .

المغتصبون رجال دون الخامسة والعشرين في أغلب الأحوال ، تسهل لهم العملية معاقرة الخمر وتأثير الخمر المسكر ، وهو عامل هام في حوالي ثلث حالات الاغتصاب المبلغ عنها في بريطانيا .

تدرس الحكومة البريطانية إمكانية علاج المغتصبين وهم في السجون ، على الرغم من أن التكاليف باهظة والنتائج غير مضمونة ،

كما تحجز السلطات البريطانية المتهمين في قضايا الجنس في أماكن منعزلة تماماً عن باقي المساجين ، لأن القتلة والسارقين مثلاً ، يعتبرون مجرمي الجنس أشرار ويجب قتلهم ؛ وبالفعل حدثت حوادث قتل داخل السجون .

وفي زيارة للمؤلف لأكبر سجون بريطانيا في جزيرة (Isle Of White) حيث ألقى محاضرة عن الأبعاد النفسية الداخلية لمجرمي الجنس ، قال له أحد المتهمين أنه ليس مجرمًا ، لكنه مجرد مرتكب لفعل جنسي غير طبيعي فقط ، ثم أعقب (أنا لم أسرق ولم أقتل ولم أضرب أحداً ، أنا لست بمجرم . . . ؟ !)

أسئلة حائرة من حالة " جوليا " :

* لماذا سمحت للصحافة بكل هذه الدعاية و(الإعلان) . . أليس هذا

اغتناباً ثالثاً لها بعد ذلك الحقيقي وبعد المحاكمة؟!

* هل كان الإغراء المادي أكبر من أن يبقى الأمر سراً ، خاصة وأنه

يتعلق بالجنس ، ذلك الأمر الخاص للغاية من حياة الإنسان .

* لماذا فجر الولد ذي العشرين سنة شقة جوليا؟

* ظهرت جوليا أنيقة متماسكة على الرغم من تأثيرها في المحكمة! .

* علاقاتها المتعددة غير الناجحة مع الرجال تلقي بظلال على مدى

قابليتها للانجراف ؛ فهي في تلك الحادثة لم تكن حذرة بالقدر

الكافي .

* هناك من يتهم النساء أنهن - أحياناً - يخلقن المواقف التي يُغتصبن فيها .

* هل ثلاث سنوات أو سبع سنوات كافية لعقاب مجرم جنس على فعل شنيع؟!

* هل تناول الإعلامي لقضايا الجنس في كل أنحاء العالم مُرشد ومحمود العواقب ، وهل هو علمي مدروس ، أم هو - فقط - للإثارة؟!

* هل هناك علاج للمجرمين جنسياً؟ وإذا كانت الإجابة بـ " لا " فما هو الحل؟!

* هل الإعدام وسيلة إنسانية مع بشر انعدمت إنسانيتهم .

* هل علاج ضحايا جرائم الجنس مُجدي تماماً ، أم أنه تخفيف للمدة فقط وتبقى الندبة غائرة على مدى السنوات؟!

يبقى الإنسان أكثر الحيوانات شراسة ، عدوانية وإيذاءً لبني جنسه ، ويبقى لغزاً عصيباً ، وصندوقاً مغلقاً على الرغم من كل البحوث والعلوم والمؤتمرات .

ملفات العنف الزوجي :

هذه حكاية واقعية من داخل ملفات الشرطة النفسية ، ذلك الفرع الذي يهتم ويحقق في القضايا التي تنشأ عادة من أمراض وعلامات المرض العقلي ، والشرطة النفسية جناح مهم

وخطر في بريطانيا . . ندخل إلى عالمه ، دون المساس بالوقائع التي تشير إلى الشخصيات الحقيقية . .

بمجرد أن خرج " أندرو " من الحمام فوجئ - وهو يهم بالتقاط معجون الحلاقة - بباب الحمام ينفجر في وجهه بضربات قوية ، وقبل أن يدرك كُنه الأمر ، هجم عليه ثلاث رجال مسلحين ملثمين وطرحوه أرضاً .

استخدم أحدهم هراوة ضخمة هشم بها رأس " أندرو " قاطعاً الجانب الأيمن من وجهه تماماً ، بينما أخذ آخر يضربه في قفصه الصدري بقضيب من حديد بقسوة شديدة ، بينما انهمك الثالث في الإمساك بـ " أندرو " بقوة ، مانعاً إياه من الحركة قدر الإمكان .

وأثناء تلك العملية الوحشية كانت " جاكين " زوجة " أندرو " تصرخ وتبكي بشدة ، تكوّرت على نفسها في غرفة النوم ، محاولة الاختباء ، وفي حضنها رقد ابنهما " رايس " ذو الأربع سنوات .

كان أداء " جاكين " رائعاً ومتميزاً إلى حد بعيد . . . ؟

نعم وببساطة لأن " جاكين " الزوجة المسكينة هي التي أجرت هؤلاء الرجال البشعين ، ليطشوا بزوجها؟

على مدى أسبوع كامل ظل " أندرو " فاقد الوعي ، يكافح الموت في غرفة الإنعاش بالمستشفى العام المجاور ، واضطر الأطباء إلى فتح

رأسه من الأذن إلى الأذن، يقشرون لحمه الوجه، وبغرسون خمس صفائح معدنية في خده، ومقلة عينه، وجمجمته .

خلال كل ذلك كانت "جاكي" ذات الأربعة والعشرين ربيعاً في قبضة البوليس متهمة بأحداث إصابات بالغة في زوجها، عن عمد وقصد، وعندما أفاق "أندرو" اضطر أبواه إلى إخباره بالأمر .

هنا تقياً الزوج المصاب مفرغاً كل ما في أحشائه ودمه وأعصابه، وكأنه يلفظ الحقيقة البشعة، تلك التي لم يتمكن من الاحتفاظ بها ولو لشوان .

صاح "أندرو" البالغ من العمر 24 عاماً :

- أنا لا أكاد أصدق ما تسمعه أذناي، أنا لا أكاد أصدق أن بإمكان "جاكي" أن تفعل في ذلك؟ . . لقد كنا سعداء، كان عمري 18 سنة، وكانت 16، تقابلنا في ناد للتزحلق على الجليد، أحببنا بعضنا وتزوجنا . لنا اهتماماتنا المشتركة، وتناغمنا الخاص الذي يحسدنا عليه الآخرون . . لكن شهور العسل لم تستمر طويلاً، وبدأت الخلافات تشب أظافرها في الحب الذي جمعنا سوياً .

أخذت "جاكي" طفلنا وذهبت لتعيش مع والديها، قائلة أن الكيل قد فاض بها، وإنها بالفعل قد سئمت حياتنا سوياً . .

اتفقنا على الانفصال والتقى كل منا بآخر، تحطم الزواج على صخرة الأحداث الأليمة التي ألمت بنا . .

ولما حان وقت الاتفاق على الطلاق، فوجئت بها تنتقل لتقييم مرة أخرى في شقتنا، ولم يكن الدافع هذه المرة هو الصلح، لكنه كان الحرص على ألا يضيع حقها في الشقة.

قبل الحادث البشع الذي تعرضت له على يديها بأربعة أيام، كنت أجلس في الصالة مع بعض الأصدقاء، وكانت هي في المطبخ تثرثر مع صديقة لها. سمعتها تقول إنها ببساطة يمكن أن تقطع ساقين بثلاثين جنيهًا فقط. . كان غريباً جداً أن أسمع ذلك، لكنني تخيلت أن الأمر لا يعدو كونه تهديداً أو استعراض عضلات.

كانت "جاكي" في غرفتها مع ولدنا، وكنت أنا خارجاً لتوي من الحمام، وفوجئت بهؤلاء الرجال الثلاثة المثلثين ينهالون على ضرباً، رغم المفاجأة وقسوة الضرب ووحشيته، ميّزت صوت أحدهم يقول (عليك بساقي . . اكسرهما ...).

احتاج القاضي وهيئة المحلفين إلى تفسير علمي مفصل للظاهرة، كما احتاجوا إلى تركيز على أهم الدوافع والمبررات. .

كتب الطبيب الشرعي النفسي، في معرض تقريره أن حالات ضرب الأزواج ليست نادرة كما تخيل البعض، لكنها لا تحظى بأهمية إعلامية كبيرة إلا في حالات محددة، كما أن الرجال إذا لم تكن إصاباتهم بالغة فإنهم عادة لا يشتكون، ولا يصل الأمر إلى الشرطة أو القضاء، والجدير بالذكر أن مثل تلك الحالات (ضرب الأزواج)،

للأسف لا تحظى بأي اهتمام من قبل الباحثين والعلماء ، بينما ينصب تركيزهم على (ضرب الزوجات) من قبل الأزواج .

الموضوع له دلالات وأبعاد اجتماعية يجب التوقف عندها : هل المسألة معركة لرد الإهانة والدفاع عن الكرامة والحق المسلوب ، أم أنها عملية انتقام ؟ . . قليلة هي تلك النسبة التي توحى بالضرب أو العنف ، وليس للدفاع عن النفس أو لرد إهانة .

وفي حالة " جاكى " و " أندرو " . . هناك بعض العوامل الخفية التي قد تكون مرتبطة بالغيرة المرضية وبشخصية الزوجة الإجرامية أو (السيكوباتية) .

إنه نوع من الاضطراب النفسي والاجتماعي المتكرر ، وغالباً ما يبدأ في سن المراهقة ، يتكرر ولا تعاني صاحبه من الإحساس بالذنب أو الندم ، كما أنها قد تراوغ وتعود للفعل العدواني ، ولا ترتدع مهما كانت النتائج وخيمة .

تتميز الشخصية السيكوباتية تلك ، بعدم الإحساس بالمسؤولية ، وبالعدوانية المفرطة ، وعدم القدرة على التأقلم مع تقاليد المجتمع وعاداته .

انتهى الأمر بـ " جاكى " في السجن ، بقضاء عقوبة مخففة ، انتقلت بعدها إلى مصحة علاجية ، في محاولة لتقويم شخصيتها العدوانية من خلال بيئة علاجية منظمة ، وانتهى الأمر بانهما في الرعاية الاجتماعية لدى أبوين آخرين .

الهاتف أداة المعتدي المريض :

- * " ديفيد " أرعب 3000 امرأة في 3 أسابيع وبرأته المحكمة لماذا؟؟
- * مهندس في مصلحة يستخدم معرفته التكنولوجية لتفادي الإمساك به؟؟
- * الساعة الثالثة صباحاً قبل الفجر بقليل! . . يدق جرس الهاتف ، يصرخ ، يمزق صمت الليل البهيم ويحترق الجدران والأذان . .
- * صوت الرنين الرتيب الملح يزداد ضراوة مع وحشة الوحدة والسكون والصمت المطبق . . إنها حالة طارئة .
- * تقوم المرأة نصف جالسة ، نصف نائمة ، من على وسادتها لتمسك بسماعة الهاتف ترد في صوت مُحشرج بالخوف مغلف بالنوم ، قلق ، متوتر ، ومترقب : آلو . . هالو . . آلو . .
- * ما من محيب . . صمتٌ غريب ومريب .
- * تحاول المرأة أن تعود للنوم نصف يقظة نصف مترقبة .
- * يدق جرس الهاتف مرة أخرى .
- * تقبض المرأة على سماعة الهاتف بيدها ، تتشنج أناملها على السماعة ، ويرد عليها الصمت ، ثم ، صوت تنفس رجل ، مُتقطع خشن ، هامس مُشوّه مُضطرب . . يحترق جدار الصمت قائلاً :
- "أريد أن آتي الآن . . الآن . . أنا أعرفك جيداً . . وأعرف مكان إقامتك . . أريد أن . . "
- * ويستمر اللغظ مخلوطاً برغبات مريضة محمومة ووعيد باستخدام العنف .

* ورغم أن المرأة رُغبت في وضع السماعه فوراً. ز إلا أن شيئاً من التكاسل والفضول دفعها إلى التباطؤ ثم وضع السماعه مكانها في خوف شديد مقرون بالغضب العارم .

* ترقد المرأة وحيدة تُحدق في سقف الغرفة مرعوبة ، بينما تتسارع في رأسها كل الهواجس والأفكار المخيفة والفظيعة .

هذا الملف ليس سرّاً..

من واقع أرشيف الشرطة النفسية التي سمحت بنشره بالأسماء **إنه** والوقائع عملاً بجرية الرأي فيما يخص جريمة تمس الناس وترعبهم في بيوتهم .

القضية (رجال يخيفون النساء عبر الهاتف) . .

الأول يدعى " ديفيد ثورنتون لين " يبلغ من العمر 45 سنة ، أخاف وأرعب آلاف النساء هاتفياً ، بلغ عدد ضحاياه ثلاثة آلاف امرأة في مدة ثلاثة أسابيع فقط .

اعترف ديفيد بإجراء 400 أربعمئة مكالمة في ليلة واحدة فقط ، كانت خلالها ترقد زوجته في نوم عميق تحلم وتأكل أرزاً مع الملائكة .

الوقت : بعد منتصف الليل بقليل يرفع " ديفيد ثورنتون لين " سماعة الهاتف ويتصل بضحاياه يتوعدهن ، يهددهن ، ويستمر مسلسل الرعب إلى أن تتقدم سيدة عجوز بشكوى للشرطة المحلية التي قامت بدورها بتعقب مصدر المكالمات المرعبة إلكترونياً ، وكان ديفيد هو المتهم الذي برأته المحكمة في ضاحية إيزلورث ، برأته ولكن

حكمت عليه بالعلاج النفسي لمدة لا تقل عن ثلاث سنوات .

وقبل أن نعرف لماذا برأته المحكمة؟! وما هي طبيعة ذلك المرض النفسي اللعين الذي يستخدم فيه الهاتف كأداة للربح ، نتطرق إلى قضية أخرى حديثة وأكثر تعقيداً .

مهندس في مصلحة التليفونات البريطانية الشهيرة BT ولدة سنتين ، استغل خبرته ومعلوماته التكنولوجية ، ليهدد وينتهك لفظياً حرمان مائة وخمسين امرأة ، وكان في كل مرة يستخدم مهنته وحرفته لتفادي إمكانية الإمساك به .

لمدة سنتين كان "بيتر أوبرين" البالغ من العمر 37 سنة يهدد ضحاياه بالقتل ، الاغتصاب ، العدوان على العرض .

ظهر أمام المحكمة العليا في يورك هادئاً ، قال إنه استخدم المعلومات الموجودة على الكمبيوتر والتي تخص المشتركين في هيئة التليفونات ، واختار منها تلك التي لم تخضع للتطوير التكنولوجي بعد ومن ثم يكون من المستحيل تعقب خطوها .

"بيتر" أب لطفلين أقر بأنه مذنب في توعده للنسوة بالقتل ، اعترف بأنه مثير للشغب ومقلق للعامة باستخدام جهاز التليفونات ، للتأثير السلبي على الناس مما سبب لهم التوتر والضيق . أجل القاضي "آلان جولد ساك" القضية للنظر فيها بعد شهر حتى يتسنى فحص "أوبرين" طبياً نفسياً وإعداد تقرير وافٍ عن حالته للمحكمة .

قال إن احتمال سجن "أوبرين" وارد .

بعد انتهاء الجلسة قال رئيس مباحث الدائرة "ستيف بارلو" والذي قاد بنفسه التحريات والقبض على "أوبرين" الذي عمل مهندساً لمصلحة التليفونات البريطانية طيلة 18 عاماً، وكانت غلطة الشاطر حين استخدم "أوبرين" هاتفاً رقمياً متطوراً، والمثير للدهشة أن أكثر ما ساعد في عملية في عملية القبض هو إجابات النساء على استبيان يحوي كثيراً من الأسئلة أجابت عليها الـ 150 سيدة. كن الهدف لعملية رعب "أوبرين"، قال مستر (بارلو) رئيس المباحث: "لقد هدد أوبرين النساء بالختطف، أو باختطاف بناتهن أو أمهاتهن، وأنه سوف يلحق الأذى بهن إذا لم يطعن أوامرهم؟!" . .

"البذاءة الهاتفية" . . هي الاصطلاح المستخدم الآن في الأوساط القانونية والطبية النفسية الجنائية، وتعريفه أنها مكالمات مشينة تعدي على حواس الإنسان وعقله.

* لكن هل يعاني المجرم في تلك الحالات من مرض نفسي؟! *

* نعم! في بعض الحالات.

* إنها نوع من الاضطراب الجنسي: يشترك في الخصائص المتلصصون على حياة الآخرين الخاصة بالنظر، أو هؤلاء المرضى بـ "عقدة الاستعراض" حيث يظهرون عوراتهم للأطفال والنساء، وهؤلاء الذين يكتبون رسائل قدرة لساء معينات.

إن "الهجوم التليفوني" أشبه ما يكون بالاغتصاب السادي المتلذذ بالعنف تجاه ضحايا قليلي الحيلة.

التشخيص الآخر:

اضطراب الشخصية اللاسوية، المعتمدة بشكل مرضي على الآخرين، غير الناضجة، والمندفعة، دون وجود دليل حقيقي على عنف فعلي .

* هناك نوع من هؤلاء الرجال يكون "بسيطاً" يرتد إلى الطفولة، سلوكه نوع من التعويض عن النبذ أو الرفض أو فقدان الاعتبار النفسي .

* ونوع (مندفع - مذعور)، مضطرب جداً في مختلف أوجه حياته المتوترة والمتسمة بتغيير قلق في الإقامة والعمل والعلاقات الاجتماعية .

* إنهم يجنون إحساساً خادعاً مؤقتاً بالقوة والسيطرة، قال مريض يوماً ما "إنه شيء رائع أن ترعب امرأة أو تخيفها بمجرد كلمة واحدة، إذا ما احمر وجهها فهذا وحده كافياً، إنني أعتقد حينها أنني ساحر أمتلك قوة خارقة" .

لماذا يفعل هؤلاء الرجال ذلك؟!

يقدم التحليل النفسي تفسيراً هاماً لتلك العدوانية المرتبطة باستخدام الهاتف للتحرش الجنسي والبذاءة الشفهية، فيرى محللون النفس أن ارتباط المريض المرتكب لذلك الإثم هو نوع من الفيتشية (Fetishism) وهي حالة مرضية نفسية جنسية يتعلق فيها المريض بهوس إما بأجزاء معينة من جسمه، أو بالملابس مما يثيره،

وهنا ينطبق ذلك على سماعه الهاتف بشكل خاص)، وتوحي بأنهم بديلاً للعضو الذكري مما يؤكد استخدامها بقوة كبديل للضعف، في تخف بدلاً من المواجهة، عبر الأثير والكلمات وبعيداً عن الحس والحقيقة، ويعتقد البعض أن اللغة البذيئة المستخدمة هي أيضاً نوع من "الفيتشية" يتعلق بها المريض ويعشقها فتثيره، ويثيره استخدامها ومن ثم تستمر الدورة كدائرة مفرغة بلا انقطاع.

وكما ذكرنا سابقاً فإن الميزة التي يتمتع بها المجرم هنا هي "عدم المواجهة الفعلية" مع ضحاياه، ومن ثم فهو يبني لنفسه صورة خارقة من وحي خياله، ويأمل أن تقع الضحية في شرك الخوف والتصديق ويملؤها بالإحساس بالرعب، ويكون غرضه في الغالب هو إحداث نوع من الصدمة، من الحرج البالغ ومن الذعر والهلع اللامحدود.

هناك ربط بين استخدام الهاتف بهذا الشكل الشاذ وبين مجموعات السحر والعقائد الغريبة، لكن تبقى "مجهولية" المعتدي واستمراره في اعتدائه هي حجر الزاوية لفهم الموضوع، وعلى الرغم من هذا الغموض يبقى الإحساس الدفين بالرغبة في الاعتراف والكشف عن النفس.

الحد والعلاج:

جرائم الهاتف مزعجين أكثر منهم خطرين، ولهذا **مدرّك** على الرغم من ضرورة محاكمتهم إلا أنه كما حدث مع "ديفيد ثورنتون لين" لا يعاقبون ولكن يعالجون. والعلاج أو العقاب

يعتمدان إلى حد كبير على شخصية المرتكب لجرائم الهاتف، ومن المهم في كل الحالات أن يتم فحص طبي نفسي وتقييم مفصل لكل حالة، وتقرير الطبيب عن إمكانية ونوع العلاج سيعتمد على رغبة المرتكب وحوافزه للتخلص من هذا المرض.

العلاج بالتحليل النفسي :

على التفسير والشرح، وربما كان العلاج النفسي يعتمد بالحوار، وجهاً لوجه مفيداً، كما أن العلاج الجمعي مفيد في حالات أخرى، يلجأ فيها المعالج إلى إظهار المشاعر الدفينة وتحليلها وأحياناً أمام الجماعة مما يُخجل المريض ويجسسه بالندم غير أن الحالات التي يتضح فيها عنصر الوسواس القهري بمعنى عدم القدرة على كبح جماح الرغبة في الاتصال يكون العلاج السلوكي هو الأفضل، ذلك الذي يعتمد على كسر تلك الرابطة بين العمل ونتائجه، بين المثير والإحساس بالفرحة أو النشوة، وهكذا ومن أهم وسائل الحضارة في القرن العشرين أصبح الهاتف مثار خوف وإزعاج ومع تقدم طرق العلاج ووسائل اكتشاف المجرم المضطرب إلكترونياً، يمرض الناس المرتكب والضحية على حد سواء ولا ننسى أنه في عام 1985 في بريطانيا كانت 21000 مكالمة من مجموع 145000 لإدارة المطافئ "بلاغات كاذبة" أي حوالي سبعة في المائة.

ظاهرة الجنس الثالث

ما هي الحقيقة النفسية وراء هذا السلوك الغريب؟

أشرطة الفيديو، على شاشات التلفزيون يطالعنا وجه جميل
مرسوم بدقة، شعر طويل، ملابس نسائية... وصوت
رجل! إنه مغني البوب الشهير... (بوي جورج) صاحب الفرقة
الموسيقية المسماة بالنادي الثقافي.

بوي جورج فخور بأنه ينتمي إلى (الجنس الثالث) فيظهر ويغني
ويلتقي بالناس مرتدياً ملابس امرأة ومزداناً بجلي النساء واضعاً
مساحيقهن.

في نيويورك، في الشارع الثامن، سار ما يسمى (بالمهرجان
الشاحب)... قبعات سوداء كبيرة، وفساتين، وقفاطين حريمي،
وشفاه بنفسجية اللون، وسراويل فضفاضة عند الحوض وضيقة عند
الكعبين... عيون كحيلة وغناء راقص.

لكن! لماذا يبدو هؤلاء الناس هكذا؟! ما هو السر؟! هل هي
صرعة؟! موضة؟! أم مجرد احتياج نفسي يتم إشباعه بأداء أدوار
غريبة؟!

بعض قيادات هذا المهرجان يؤثرون أن يظهروا للعالم أنهم - مجرد
أبرياء، فيقولون (إننا نعود إلى طفولتنا، حيث لا شيء يفرق بين الولد
والبنت سوى بعض الاختلافات الجسدية!... ثم يهتمون المجتمع

الذي يؤكد على اختلاف الرجل والمرأة بإعطاء كل منهما دوراً مختلفاً .

نجد (بوي جورج) يقول (إنني كما أنا الآن ، أبدو كأروع ما أكون . . . خذوا كلامي هذا بثقة).

بعض هؤلاء الرجال متزوجون ، وسعداء في حياتهم ، لكنهم لا يرتدون إلا ملابس النساء ، يضعون أحمر الشفاه ، وأحمر الخدود ، والحلي ، وطلاء الأظافر . . . بل أن زوجة أحدهم قالت في برنامج تلفزيوني (أنني أهدي زوجي ملابس حريمي : داخلية وخارجية . . .). لقد ارتضيت الأمر الواقع ، إنه زوج مخلص رغم كل شيء .

بوي جورج وفرقته ، يهاجمون المرأة المسترجلة ويرون أنها شيء آخر ، مختلف ، مصطنع ، وأنها تبتعد عن الجمال والبراءة التي يجدونها في المرأة العادية ، رأيهم في النسوة المتشبهات بالرجال أنهن قاسيات ، ذوات عضلات بارزة ، وشعر قصير ، وأجساد نحيلة ، وكل ملامح العنف .

ولكن لماذا يفعل هؤلاء الرجال المختثون ما يفعلونه؟!

ربما كانوا يخفون أجسادهم الذكورية وراء ستار حريمي رقيق ، في حين أن النسوة المتشبهات بالرجال غالباً ما تكون ملامحهن غليظة وبالتالي فأنهن يبرزنها كدلالة على القسوة .

الجنس الثالث يدافع عن نفسه باستماتة ، مؤكدين على أنهم ليسوا

في صف الرجال ولا النساء، وأنهم مجرد أناس أبرياء، سعداء، في حالهم.

بوي جورج يقول (أن التزين بهذا الشكل مسألة بريئة، أمر يخلق شعبيتي، أن الرجل المولود ذكراً ويختار أن يعيش مخنثاً، رجل ذو شخصية فريدة مفعمة بالمرح والحب، لكن المرأة على العكس فهي إذا بدت كذكر فإنها ستكون خبيثة وشريرة وسيئة.

يحاول البعض تفسير الأمر من وجهة نظر الموضة، أو الملابس التي يرتدونها، فهي فضفاضة تبعث على الراحة، ذات أكتاف منسابة تظهر الاطمئنان، والخصور الضيقة رمز للجمال... بينما تظهر ملابس النساء الرجالية القوة والسلطة في الأكتاف المرفوعة، وفي السراويل المشدودة، وفي الألوان المعتمدة الموحية بالسيطرة... ولكن ربما بدا هذا التفسير رومانسياً جميلاً بعيداً عن لب الحقيقة!

ربما إذا توغلنا في حياة رجل من هؤلاء... لوجدنا أنه تربي منذ صغره بين إناث، وربما كان ولدًا وحيداً، غاب أبوه عن البيت لمدد طويلة، عشقته أمه عشقاً لا حدود، رتبت له أشياءه، نامت في سريريه، سرّحت له شعره، ضفرتة، وضعت به شريطة حمراء أو بيضاء، أخذته معها إلى الحمام، التصقت به في كل وقت وفي كل مكان، دلتته كبنت، أحبته بعنف، وقست عيه وكأنما هو - بدون شعور - كانت تقتل ذكوره منتقمة بذلك من زوجها أو من أبيها أو من كل الرجال...

ولربما كان الجهاز التناسلي هو أهم الفروق بين الرجل والمرأة، لكن الأمر أهم من ذلك، فالذكورة والأنوثة، سلوك وطريقة تعامل، ودور نلعبه في الحياة قبل أن يكون جسداً وهرمونات.

ومن وجهة نظر الطب النفسي فإن مظاهر الجنس الثالث تبدو كنوع من الهروب من أزمة نفسية أو عاطفية.

هؤلاء الرجال النساء يطلق عليهم علمياً المخنثون نفسياً، وهم بالطبع ينقسمون إلى قسمين الرجال المخنثون، والنساء المخنثات. .
مختلفون عن هؤلاء المخنثين جسدياً أي المولدون بجهاز تناسلي مختلط. ولهم اسم مشتق من الأساطير الإغريقية القديمة وهو (هرما فرويدت) الذي كان ابن أفردويت، وكان شاباً جميلاً ذا صدر أنثوي وشعر طويل - وهم أيضاً مختلفون عن المتحولين جنسياً وهم أجناس ينتمون بجسدهم فقط إلى جنس معين بينما هم في الحقيقة، في قراره أنفسهم في عقلهم الواعي واللاواعي ينتمون إلى جنس آخر.

هل حقيقة الأمر مجرد صراع؟ ومحض اضطراب نفسي؟ أم أن له أسباباً عضوية تكمن في المخ وتسري في الدم؟!

العلم حائر في هذه المسألة، لكنه يؤكد على وجود ما يسمى بالقوة الثالثة وهي ما تمثل عوامل وراثية وطبيعية تدخل في تكوين الإنسان، وهذا ما يثبت أن مرضى كثيرين مصابون بالتحول الجنسي تكون نشأتهم سليمة. . . آيا كان السبب، نفسياً أو عضوياً أو كليهما، فإن ثمة حقيقة ندركها كلنا ألا وهي أن بكل منا (جزء أنثوي) و(جزء ذكري). . لكن كشيء طبيعي في الرجل يتغلب الجزء الذكري وفي

المرأة يتغلب الجزء الأنثوي . . بمعنى أنه لبعض من الرجال طباع وصفات وسمات أنثوية، ولبعض النساء سلوكيات ذكورية .

يدّعي بعض الباحثين الأمريكيين انه كلما زاد الجزء الأنثوي في الرجل كلما كبرت طاقاته الإبداعية وكلما زاد ذكاؤه، كذلك الأمر بالنسبة للنساء إذا كان الجزء الذكري لديهن واضحاً كلما كانت قدراتهن على الإبداع والإنتاج قوية، غير انه ليس هناك أدلة قوية تثبت صحة هذه النظرية .

وهكذا فان المجتمع الغربي المتفسخ يولد في كل يوم موضحة تتناول أدق خصوصيات الإنسان، وتعبث بها، ولا تتركها كما هي، بل تحاول من خلال ما تجنده من علماء وباحثين أن تنظر لها!

الرجل والفاتنات:

"إنه ليس جنساً جماعياً، لكنه عطل جنسي . . . متخفي وراء ممارسات شاذة وكاميرا فيديو " .

✽ الخط الأحمر بين ما يدور في العقل وما يحدث في الواقع !

✽ الأسباب الحقيقية للانحراف الجنسي؟

نشرت مجلة روز اليوسف في عددها الصادر في 18/12/95 برقم (3523) تحت باب (جريمة الأسبوع) موضوعاً خطيراً لم أقرأ له مثيلاً قبل في أي مطبوعة عربية، وهو بعنوان (حفل جنسي جماعي في مصر الجديدة) .

الموضوع كما تقول (روز اليوسف) حادثة غريبة سجلت لأول مرة

في محاضر الشرطة ، لكن واقع الأمر أن مثل تلك الأمور تحدث في كل الدنيا لكنها تكتُم فلا تقال وعادة ما لا تكشف عنها الشرطة ولا تنشرها الصحافة بالذات في المجتمعات المحافظة والتقليدية .

ولأن الموضوع المنشور مُقتضب ، أي مجرد خبر فإنه يستحق التحليل من الزاوية النفسية ، ونحن نرى دون إجحاف للزوجة أن هناك بعض الشك فيما يتعلق برضاها وصمتها طوال تلك السنوات التي لم تحدّد في التقرير ، ومن ثمّ فإن هناك نوع من التقبل أن لم يكن الرضا فجرته أحداث نجهلها وخلافات لا نعرفها بين شراكة الجنس ، أما الزوج الذي استاء للغاية واندesh ، وتساءل عن تدخل البوليس في هذا الموضوع قائلاً أنها حرية ، كفّلها القانون فهو يستحق التأمل - من ناحية أن التقرير ذكر أنه اعترف ، لم ينكر لحظة ، وأدلى بتفاصيل كل الوقائع دون خجل أو حياء أو تردد ، أو حتى أي ملامح تأثر ، وظل يحكي في هدوء شديد ، كما لو كان يروي قصة فيلم رومانسي . وعلى الرغم من أنه ذكر أن الجنس أهم أركان حياته إلّا أننا نرى أنه كل حياته ، أغلب الظن أنه غير ناجح في عمله وغير مشبع وظيفياً لهذا يذهب البعض من الدارسين للعلاقات الإنسانية إلى حد القول بأن (العشيق الحقيقية للرجل هي عمله) ، وبصرف النظر عن نوعية عمل الرجل ، درجة ثقافته ، شهاداته ، منصبه ، فإن تحقيقه لذاته في عمله ومدى نجاحه هو المحور الأساسي وإذا انتفى ذلك فإننا نجد رجالاً يسقطون في بحار الاكتئاب أو الرذيلة ، أو الإدمان بكافة صوره .

هناك ثلاثة محاور لتناول الموضوع :

المحور الأول : هو أن ذلك الرجل يعاني من عُطل (وليس عجزاً)

جنسي ، يتخفى به وراء ستار التعددية الجنسية لرجال يصورهم وهم يمارسون الجنس مع زوجته فيُستثار ؛ ثم يمارس هو الجنس معها ، وهو يستثار - غالباً - بقدر أكبر من مشاهدة الآخرين يمارسون الجنس مع زوجته ، لأن المشاهدته عنده تفوق الفعل (وهنا يندرج الأمر تحت تصنيف وتشخيص العطل الجنسي ، والشذوذ) ، بمعنى أنه يتماهى (يتوحد) نفسياً وجنسياً مع هؤلاء الرجال ، لكن لماذا أكثر من واحد ، لأن كل منهم مختلف . . وبالتالي فإن عجبتهم قد تشكل شكلاً مسخاً يقوم بالمهمة ، ثلاث أجساد مختلفة مثلاً ، بثلاث نفسيات ، ثلاث طرق للممارسة ، إحياءات وإيماءات وردود فعل مختلفة ، آهات وتأوهات مختلفة ، ومن ثم ردود فعل مختلفة لدى الزوجة .

المحور الثاني : أن هذا الرجل يعاني من خوف شديد من الفشل

الجنسي ، الفشل في الأداء ، لو أداه بمفرده ، أو بالشكل العادي المتعارف عليه ، ومن ثم فانه يستخدم أدوات (رجال آخرون يتغيرون) . . حتى تختلف ردود الفعل باختلاف الأمزجة ، مع كاميرا تسجل اللحظة بالصوت والفعل والصورة ؛ ومن ثم ترصد الحدث كاملاً مع التركيز على المناطق الحساسة كما ذكر التحقيق . . حتى يشبع هواه ، وهو أيضاً يعاني من خوفٍ من الحميمة .

وعلى الرغم من عدم لقاء المؤلف أو فحصه النفسي لهذا الرجل ، إلا أنه يستند في رأيه على أن "الخوف من الحميمة" . . . الخوف من الاقتراب من الزوجة نفسياً وذهنياً ، الخوف من الكشف عن الكامن والمكبوت ، ومن ثم الابتعاد عن سخونة العواطف والاقتراب من إثارة الفعل وفعل الإثارة .

المخاوف من الحميمة لا تخرج إلى العقل الواعي ، لا تجد طريقها السهل إلى الشعور . . . على العكس من التوترات اليومية ، بما فيها توتر العاجز جنسياً الذي يفقد قوته لخوفه من الفشل ، وهؤلاء الناس يعانون من مشاكل تتعلق بدرجة اقترابهم العاطفي وقبولهم من الآخرين أثناء مرحلة الطفولة قبل أن يتكون الإحساس الجنسي البالغ . من ناحية أخرى فإن مشكلات الحميمة تعدّ نتاجاً للعجز في تطور الشخصية هؤلاء لا يتطورون بحيث يملكون (الصدق الأساسي) تجاه والديهم أول الناس الذين يكونون معهم علاقة إنسانية .

المحور الثالث : ويتعلق أساساً بأصول الشذوذ الجنسي أو (الجنس المنحرف ، غير العادي ، غير المقبول) . . . هذا الموضوع لم يفهم تماماً بعد ، على مستوى البحث العلمي ، بمعنى لماذا يتجه بعض الناس ، رجال ونساء إلى طرق غريبة ، غير عادية ، منحرفة ، شاذة لممارسة الجنس .

الإجابة قد نجدها في نظريات كثيرة تتنافس فيما بينها لتقديم الرؤية الأكثر قبولاً ، وهي رغم تنافسها ذلك لا ينفي أحدها الآخر ، لكنها

تكاد تكون مُكملة لبعضها البعض ، ومع هذا فمن المفيد لفهم هذه الظواهر - غير العادية - أن نتناول تلك الأسباب من الواقع النظري واحدة تلو الأخرى بمعزل عن ضمهم كلهم في حزمة واحدة .

إن الناس يختلفون بشكل كبير جداً في أحاسيسهم الجنسية ، في طاقاتهم ، في اختياراتهم للجنس الآخر ، طردهم المفضلة للإثارة ، درجة الصراحة مع الطرف الآخر بما تحوي من كشف عن الفانتازيا ، التصورات للجنس المُمتع " والمثالي " وكيف يمكن تطبيق ذلك واقعياً ، وبالطبع المحاذير والقيم والقبود والاعتبارات الاجتماعية ، الأخلاقية التي تلم وتداخل وتسدّ السبيل أمام كل تلك الخيالات ودرجة تطبيقها في الحياة اليومية .

وهنا يجب التفريق بين الاختلافات العادية بين الناس بشكل عام في إطار (الجنس المتعارف عليه) وبين الانحرافات المرضية .

الأسباب العضوية : (البيولوجية) تعتمد على أن الجنس في أساسه : الرغبة الاستثارة والأداء لها أصول بيولوجية بحتة ، ومن ثمّ فإنّ البحث عن الأصول البيولوجية للانحراف النفسي ستكون له فائدة جمة ، فلقد وجد البحث العلمي اختلالات في وظائف بعض المسارات والخلايا العصبية ، اتضح ذلك جلياً من خلال دراسات (لرسم المخ) لبعض مرضى (التحول الجنسي) أما التفسير التحليلي النفسي ؛ فيميل إلى اعتبار أن شذوذ الكبار سببه صدمة ما في الطفولة ، بمعنى أن التربية المُعقدة جنسياً ، التي تخوف من كل شيء المُبهمة الناهرة ، المتزمتة ، غير

الموضحة، والجاهلة، تؤدي إلى صراعات، تكبت ولا تظهر إلا عند الكبر وامتلاك الفرصة والمال، الزوجة والبيت، السلطة والنفوذ وكل ما يحيط بالأمر، كما أن هناك نظرية تميل إلى اعتبار أن الانحراف الجنسي بشتى صوره يستمد أسبابه من انعدام المهارات الاجتماعية، مثل الحديث والكياسة وما يتبعها من تصرف جنسي غير لائق.

نعود مرة أخرى إلى ذلك المضيف صاحب القضية؛ فهو على المستوى الشعوري مُتصالح مع نفسه ومتناغم مع ذاته، كل ما يرجوه يفعل، كل ما يتخيله يحققه، لا يهتم بالآخرين، ولا يهتم الآخرون، لا الزوجة ولا الرجال اللعب الدُمى الذين يحركهم ويصورهم بالفيديو... إنه نجح تمامًا في تطبيق تلك الرؤى الذهنية على أرض الواقع داخل بيته وعلى فراش زوجته وعلى جسدها، إنه لا يحس بالذنب ولا بالخجل ولا بالضعف... لأن شيئًا ما يعوض أشياء أخرى وهكذا تكتمل الدورة دون تعب.

الرجال بشكل عام لهم "عالمهم" الفانتازيا الخاصة بهم، خيال جنسي واسع، وحينما يتخيل الرجل الجنس؛ فهو حر لإطلاق مركبة خياله دون قلق، أو خوف، ودون حب، إذ يطلق العنان لنفسه دون قيود أو روابط لخياله... يكون الرجل حرًا يتخيل ما يريد فعله دون أن ينهره أحد، ودون أن يضحك عليه الناس، وهو، في خياله، يتصور أنه لا يمكن القبض عليه مثل صاحبنا ذلك... لأن خياله مجرد خيال، صور ذهنية داخل رأسه، مثيرة هي ورائعة بالنسبة له، وهو يتعدى

الخط الأحمر حين يحاول تطبيق بعضها أو كلها في الواقع المليء بالأشواك والمحاذير .

الجنس بالنسبة للرجل نزوة، للمرأة هو عشق وحب وغرام، ولأن هذه حقيقة تنطبق على الكثير من الناس أن لم يكن أغلبهم؛ فإن الرجل تعلم أن الجنس يتطلب عملية أخذ وعطاء، لكن في الخيال يأخذ الرجل فقط، دون أن يعطي، وفتنازيا الرجل لها تنوعات متشابكة تتعلق بالكيفية، بالجو العام، بشكل الفراش، بالفعل نفسه، بأجزاء الجسد، وفي هذا المجال تحديداً يقول العالم النفسي ويلسون من خلال بحث متسع على مجموعة كبيرة من الرجال والنساء أجراه عام 1987م، وجد أن 31٪ من الرجال يتخيلون عمليات جنس جماعي (أكثر من رجل مع أكثر من امرأة)، بينما وجد أن 15٪ فقط من النساء يتخيلن الجنس الجماعي (البحث أجري في الولايات المتحدة)، كما وجد أن أكثر الخيالات شيوعاً تتعلق بالتلصص ومشاهدة الآخرين يمارسون الجنس، وتعلق بملابس داخلية تحديداً الساتان والحريير والجوارب الحريمية السوداء كما وجد البحث العلمي أن الرجل يعتمد على تصوره البصري أكثر من المرأة، فهو قادر أكثر على تذكر تفاصيل الجسد، السن، الرائحة، اللون، كما يتذكر أيضاً تفاصيل العلاقة الجنسية وملابساتها وما يمكن أن يضفه من خيالات ويكسوه الأمر بينما تحدت خيالات في البحث المذكور على الأمكنة التي يمكن أن يمارس فيها الحب كالشواطئ النظيفة ذات الرمل الأبيض والماء الرائق، أو الغابات الساحرة، والشلالات، وبعضها تخيل الجنة

كما والطريف أن بعض الرجال تخيل اغتصابه من امرأة (بالطبع هذا مستحيل دون تحقيق الرجل للانتصاب ومن ثم فإن الأمر لا يعدو كونه رغبة في الوقوع في شرك الإغراء، كما أن الباحث "جلن ويلسون" وجد في بحثه ذلك أن هؤلاء الذين يحولون خيالاتهم أو بعضها إلى واقع يمثلون نسبة عالية جداً؟!

عندما يختار رجل ما امرأة ما زوجة له، تتكون في ذهنه صورة ما تعتمد على فلسفة ما هي تجميع لأفكارهن تربيته، أحلامه، وآلامه، وخلف أسوار هذا العش تتولد الأكاذيب والأوهام والإحباطات والخداع. أما أن يدخل هذا العش رجال وكاميرا فيستحق الأمر التوقف طويلاً والدراسة المتعمقة وربما كاد الأمر أن يكون محصوراً وجسد وعقل هذا الرجل ومثله كثيرون لكنهم لا يقعون في قبضة البوليس ولا تشتكي زوجاتهم، على وجه الأرض يسير ويسعى أعقد مخلوق، يتناسل، يعيش ويموت.

تنظيمات وشواذ:

يعتذر شادي الجزيري⁽¹⁾ لأحمد فهمي تاجر الحشيش بقوله (آسف لأنني انتقدتك في زمن الحشيش فيه بقى شئ عادي Life "Style زمن "الشدوذ الجنسي" فيه بقى أحد مظاهر التحضر وحرية التعبير "زمن الـ ring tones") كان هذا في 2006م، أما في 2001م فلقد طلعت علينا أجهزة الأمن بضبطيات لها خاصية إعلامية

(مفرقة)، مثل (تنظيم عبدة الشيطان) وتنظيم (أبناء لوط)، ويفسر بعض الخبثاء ظهور تلك التنظيمات على أنها "معادل موضوعي" لتنظيمات دينية متشددة، بمعنى أن الحكومة تقبض على الانحلال والفساد، وكذلك على من يتبنون الفكر الديني المتعصب؟! ويبدو كذلك من سياق الأخبار والتحقيقات أنه لا كان هناك تنظيم (عبدة الشيطان). . ولا تنظيم (أبناء لوط) كما سموه.

يقول محمد الباز في حوار مع المؤلف⁽²⁾، وتحت عنوان (أبناء لوط لا يختلفون عن أبناء التنظيم والهجرة)، يحدد الباز حسب مصادره ما يوحي بأن التنظيم (ما هو إلا مجموعة من أبناء الأثرياء يمارسون جنساً شاذاً وأفكاراً دينية منحرفة)، ولا نعرف مدى الربط بين هذا وذاك، عموماً مع إدراك أن الدين يحرم العلاقة المثلية بين أبناء نفس الجنس، فإن الربط جاء إعلامياً مثيراً مستخدماً تعبيراً دينياً (قضية قوم لوط)، مشيراً إلى أن النيابة العامة قد باشرت تحقيقات موسعة مع 55 شاباً كونوا تنظيمياً يمارس طقوساً غريبة على المجتمع المصري قلت يومها أن المجتمع المصري، تزعزع وكشفت عوراته (مؤمناً أن مسألة الشذوذ الجنسي قديمة جداً ولكنها كانت المسكوت عنه، أي ما يكتنم عادة فلا يقال)، وفسرت بأن الإدعاء بكشف مثل هذا (التنظيم)، ما هو إلا محاولة جاهدة للتأكيد على أننا مجتمع نظيف ومتدين، نضبط ونحاسب ونحكم (هؤلاء الشواذ). . مع العلم أنه قد تم لاحقاً حفظ تلك القضية ربما حرصاً على عدم خدش الحياء العام؟! أو لاعتبارات

مجتمعية سياسية أخرى، أو للحرص على سمعة (الأثرياء) في مصر الحديثة، وفي مقابل ذلك فإن المجتمع الحالي يبدو مترهلاً ضعيفاً.

باختصار فإن الجنس لم يعد مثلما كان في عصور ازدهاره، ففي الستينيات مثلاً كان يُستخدم في السياسة، وكان الشذوذ الجنسي (سلوك واضطراب)، ينال بعض المشاهير ويتداول العامة موضوعات الشذوذ تلك بكثير من التندر أو التقزز، حسب الحالة النفسية للشعب، لكن في المقابل كانت هناك في الستينات نهضة قومية، صناعية، بناء، حركات طلابية، ثقافة مزدهرة، مسرح قوى، سينما طموحة، أما ومنذ نهاية التسعينات فثمة مجتمع يتفسخ تمزقه أمور تنال من الأخلاقي، تطرف ديني وفكري، انحطاط عام، تدنى في الذوق العام والخاص، ضُربَ كامل لكل صورة ديمقراطية، رغم كل الادعاءات بعكس ذلك.

تساءل من الباز⁽³⁾: أن الانحراف يأتي هذه المرة في صورة شذوذ جنسي، لدرجة أن المجتمع أصبح يتحدث عن الشذوذ والشواذ ببساطة، وهو الأمر الذي يحدث لأول مرة، أليس لذلك دلالة معينة؟ أجاب المؤلف قائلاً:

- والله الشذوذ موجود في كل مكان من زمان، وكذلك التجمعات الشاذة، والشذوذ الذكرى تحديداً مثله مثل أي اضطراب نفسي جنسي، (على الرغم من اعتراض جهات غربية علمية وأخرى

تعنى بحقوق الإنسان على هذا التصور). . له نسبة محدودة من عدد السكان ، وله نوعان ، واحد مكتسب والآخر فطري ، بمعنى أن النوع المكتسب يأتي نتيجة اعتداء متكرر في الطفولة يتحول إلى نوع من التعود العضوي ، بمعنى أن تصبح المنطقة الشرجية بؤرة للذة ، والنوع الآخر فطري بمعنى أن يولد الإنسان بيولوجياً وبه خلل ما (عضوي) بمعنى تركيبة هرمونية ذهنية جسدية ما ، وهذا ما يسميه العلماء بالقوة الثالثة (Third Force) ويعتقد أنها تكون موجودة جينياً داخل الرحم ، وهذا النوع قد يتعرض (أو يعرض نفسه) للاعتداء من قبل ذكور أكبر منه ، وغالباً ما يحدث ذلك في الحالتين ما بين سن السابعة والتاسعة ولكن ذلك لا يعنى أن كل ولد أو أي ذكر يتعرض للتحرش أو الاعتداء في سن صغيرة يصبح شاذاً. . لا. . عموماً سنفصل وسنشرح لاحقاً ذلك الأمر أكثر .

عودة إلى حوار المؤلف مع محمد الباز عندما وجه إليه سؤالاً غريباً :

- هل الشواذ الأثرياء مرضى إذن؟

في الحقيقة أن الشذوذ يحدث بين كل الطبقات ، ولكن - أحياناً - وفي ظروف معينة قد يكون بين "الأثرياء" جزءاً من "الرفاهية" ، وكما تصورت إحدى السيدات المتزوجات في سذاجة منقطعة النظر (إنها ربما زهقوا من ممارسة الجنس مع البنات والنساء ؛ فتحولوا إلى ممارسته مع الرجال ، محاولين تحقيق أنفسهم بصرف النظر عن انتماءهم الحسي وعن رغباتهم الجنسية). . لكن في تلك الحالة

(المرفهة أو الثرية) قد يكون - ربما - نوعاً من الفانتازيا أو التجريب والعبث . . ويراها البعض منظماً للاعتبار الذاتي ؛ بمعنى أن هناك الكثير من المبدعين (مخرجون ، فنانون ، كتاب وممثلون) يمارسونه .

ويرى البعض أيضاً أن تلك المثلية الجنسية جزء من تركيبتهم الناجحة ، لكن ماذا عن استقبال المجتمع لأخبار الشذوذ والشواذ بشكل شبه عادي وهو أمر جديد علينا : هناك ما يسمى نزع الحساسية أي أن المجتمع قد أصبح مكشوقاً للعالم من خلال الإنترنت والفصائيات وكثرة السفر والترحال ، بجانب أن الناس يعتقدون أن الشذوذ هو مجرد علاقة جنسية بحتة ، وهو أحياناً كذلك ، أي مثلما في حالة الجنس لمجرد الجنس بين الرجل والمرأة ، لكن ما يجمله الكثير أن هناك علاقات مثلية (بين أفراد الجنس الواحد) . . رجال ورجال أو نساء ونساء يسودها الحب والعشرة والعيش سوياً ، يأكلون معاً ويخرجون معاً ، يذهبون إلى السينما سوياً ، لكن المثير للاهتمام أن المجتمع يهتم - مثلاً - بأخبار الشواذ الأثرياء في حين أنه لا يعير شواذ الشوارع وتحت الكباري والسجون أي اهتمام .

من المضحك في ذلك الخبر وذاك اللقاء أنه قد قيل أن " أبناء لوط " ينتظرون " أبو نواس " نبينهم المخلص ، وهي فكرة أعتقد (إعلامية) . . يعيش عليها الناس ويصدقونها من باب أن لكل جماعة أو تنظيم ديني وبنى ومرشد وأمير ومخلص ، وقد يفهم ذلك في إطار ضياع الشباب ، ميوعة أهدافهم ، واغترابهم الشديد .

لماذا يتزوج بعض الرجال الشواذ جنسياً؟!

أن " أن تتظاهر بما هو ليس حقيقي ، قد يبدو أن ذلك هو كل ما تبقي لك لكن أن تستمر في هذا التظاهر حتى نهاية عمرك ، فإن ذلك هو العذاب بعينه " .

تسايكوفسكى بعد زواجه من تلميذته أنطونيا عام 1877م .

في رواية عمارة يعقوبيان . . عبد ربه . . أو (عبد)، جندي الأمن المركزي الذي لم يكن بطبيعته شاذاً جنسياً وإنما دخل إلى اللعبة وتورط فيها مع حاتم رشيد الصحفي الشاب بمزاجه ومن الطفولة بعد أن أحدث فيه الطباخ النوبي (إدريس) بؤرة متعة جنسية شرجية .

في الرواية أبدع الأسواني في تشخيص حالة الصراع ومحاولة إخفاء ممارسة الشذوذ الجنسي لدى عبده عن زوجته لكنه لم يفلح ، ودخل بسرعة إلى دائرة الإحساس بالذنب والألم ، مما أدى به في النهاية إلى العنف الدموي الشديد ، إلى هجر الأبندي الذي يغدق عليه المال والخدمات ، وإلى ترك المكان والزمان .

لكن هناك على سطح كوكب الأرض ، الكثيرون ممن لهم ميول وممارسات شاذة جانحة وغير طبيعية تتناول النفس والجنس وأشياء أخرى ظاهرة وخفية .



(عبد ربه) كما ذكرنا سابقاً لم يكن بطبيعته شاذاً جنسياً، لكنه مع مرور الوقت اكتسب الشهوة واللذة الآثمة والدفينة، ليس فقط من أجل المكاسب المادية، لكن من أجل مكاسب نفسية وجنسية، لكنه وبعد زواجه وبعد خلفته، وبعد موت ابنه الرضيع مريضاً، تفجر داخله الصراع الرهيب الذي صورته علاء الأسواني أروع تصوير انفعالي ووجداني :

- (ظل عبده واقفاً في وسط الحجرة حتى استجمع الأمر في ذهنه، ثم أصدر صوتاً غليظاً أشبه بمشرجة حيوان متوحش غاضب، وانقض على حاتم يركله ويلكمه بيديه وقدميه، ثم أمسك به من رقبته وأخذ يضرب رأسه في الجدار بكل قوته، حتى أحس بدمه ينبثق حاراً لزجاً على يديه).

من الواضح أن "حاتم رشيد"، حينما كان صغيراً، لم يكن شاذاً بالفطرة، لكنه كان على ما يبدو كان على استعداد، فلم يشعر حاتم بنفور أو خوف عندما قبله إدريس، وكان حاتم في التاسعة، شعر بالخجل والارتباك عندما طلب منه إدريس أن يخلع ثيابه، ويقول الأسواني هنا (ورغم شهوة إدريس وعنفوانه فلقد دخل إلى جسد حاتم برفق وحذر وطلب إليه أن يخبره إذا أحس بأدنى ألم)، (حتى أن حاتم عندما يسترجع لقاء الأول بإدريس، لا يذكر أبداً أنه تألم) - مما يدل علمياً على أن "حاتم رشيد" كان لديه الاستعداد البيولوجي لأن يتحول يتشكل ويتكون مثلياً جنسياً (شاذاً).

عودة إلى (عبد) الذي تحول أيضاً إلى شاذ عندما اصطاده حاتم

وأغواه، وعبدته أيضاً كان لديه الاستعداد النفسي والمادي لتقبل الأمر، وهو ما يوضحه المؤلف بقوله عن عبده (صار أكثر تقبلاً لعلاقتهم، ذهب النفور الأول، وحل مكانه اشتياق لذئذ آثم، وكان هناك أيضاً المال والعز والثياب الجديدة والأكل الفاخر والأماكن الراقية التي لم يحلم عبده بدخولها يوماً) . . وهو أيضاً ما يتأكد بالتجربة الشاذة مع تكرارها وتذوق لذتها تتحول شيئاً فشيئاً، إلى شهوة أصيلة عند الشاذ البرغل (الفاعل)، مهما كرهها ونفر منها في البداية .

(علاقة عبده) بزوجته هدية ظلت متوترة، كانت سعيدة بحياتها الجديدة الرغدة، لكن شيئاً ما، عميقاً وشائكاً ظل يضطرم بينهما، يعلو نجبو ويتواري أحياناً لكنه دائماً موجود، عندما يأتي إليها في الصباح بعد ليلة قضاها مع حاتم، يكون مرتبكاً وعصبياً، ويتحاشى النظر إلى عينيها ويعنفها بشدة على أقل هفوة) .

ميكانزمات دفاع نفسية وحيل عقلية تتمحور حول الإحساس بالذنب، العدوانية المختبئة، المنكفئة على الذات التي تتحول إلى إسقاط على الزوجة، التكوين الضدي، فعل ظاهر مضاد لفعل باطن مخجل مُخز .

هذا هو بالفعل الشاذ المتزوج، والسؤال الحار القاسي الآن هو لماذا يتزوج؟ لمجرد أن يُقبل اجتماعياً؟ تري ما هي الآثار المترتبة عن ذلك

الزواج؟ هل هي مجرد صراعات نفسية شديدة الوطأة؟ أم أن مسألة الشذوذ تلك هي حجر عثرة ضخم في طريق تحقيق التناغم الزوجي؟ .

يعتقد البعض أن الشاذين جنسياً يتزوجون استجابة لـ " ضغط اجتماعي " ، في مجتمع يكون فيه الشواذ أقلية ومنبوذون ، وهنا فإن الشاذ المتزوج يدخل إلى نفسه وفي عمقها المجتمع بكل ضغوطه وعذابات ومطالباته ، وهو هنا لديه إشكالية مزدوجة تتعلق بالتكيف مع مجتمعه والبيئة المحيطة به (الأولى تتعلق بما يفضلهُ هو جنسياً؟ عشيق (الرجل) وما يفضلهُ المجتمع ، العادات ، التقاليد ، الأخلاق ، (المرأة) - (الزوجة) - العلاقة (السوية) - والعلاقة (الجانحة) - العلاقة المتشكلة مع زوجة لا يعرفها تماماً وأمامها علاقة مع (رجل) يعرفه جيداً بل ويعشقه ويستثمره مادياً . علاقة تكررت فاستمرأها .

يتزوج الرجل الشاذ جنسياً استجابة صريحة لضغوط اجتماعية لا يتمكن من تجاهلها منها أصدقاؤه وعائلته؟ وربما خطيبته ، يتزوج أيضاً في محاولة صريحة لمسح وطمس وإخفاء (جنوحه الجنسي المثلي) ويتزوج الرجل الشاذ كذلك لرغبته - فعلاً - في الالتقاء بأنثى وفي تكوين عش زوجية ، (زوجة وأولاد) ، بمعنى رغبة جامحة للهروب من (جحيم) العلاقة المثلية : أن نقول أن رجلاً ما شاذاً جنسياً - بمعنى أنه يفضل العلاقة الحميمة مع رجل مثله على العلاقة مع امرأة - أو أنه لا

يخلص إلا لعلاقته مع الذكر - فقط - لكن لب الموضوع هنا هو (استثمار المشاعر المثلية الشاذة) في علاقة ذات أهمية، لها معني وفحوى ومحتوى .

وفي دراسة بلجيكية لاحظ الباحث (روس) أن بعض الرجال كان لديهم إحساس واشتياق وجاذبية تجاه الرجال، قبل أن يتزوجوا نساءً استجابة للعرف العام، لكن الرجل ذي الميول الشاذة - يجد نفسه قد تقدم في العمر، وأن كل أصدقائه تقريباً قد تزوجوا وهو لم يزل دون سبب واضح عازباً ووحيداً يحارب نزعاته غير المقبولة، وهو خائف من إقامة علاقة مع رجل تجنباً للأثار الوخيمة، وهو غيور من زملائه الذين يصادقون نساء ويخطبون بنات زي الشربات ويحكون عن غرامياتهم في استرسال واستمتاع لا حد له .

في دراسة أخرى تناولت ستين رجلاً شاذاً جنسياً متزوجاً في كاليفورنيا تركز البحث حول الكوامن والأسباب خلف قرار الزواج خاصة فيما يهم الأمر الاجتماعي " تبين أن الشاذ عندما يتربى ويتعرع في مجتمع معاد للشذوذ؛ فإنه يختلط ويتعايش مع الآخرين (العاديين) ولا يختلط بمن هم مثله من الشواذ ويلعب دوراً نمطياً عادياً يحوي في إطاره الزواج من امرأة .

الرجل ذو الاتجاهات والميول الجنسية (الشاذة) تجاه جنسه يواجه بصعوبات وعقبات تجعله حائراً في وصف نفسه وتحديد هويته، ومن

ثم فهو يفتقد إلى القاموس اللغوي الاجتماعي والنفسي الذي يمكن أن يفسر به نفسه ، ويضطر هنا إلى استخدام مفردات طبيعية تحوي الإعجاب بالمرأة والحديث عن فتنتها مثلاً ، ونجد الرجل الشاذ في مرحلة تطوره النفسي الاجتماعي تلك يتعرض لثقافة تكاد تؤكد على أن الرجل الشاذ لازم ولا بد أن يكون مختلاً (مع أن ذلك ليس حقيقياً) ، أو أنه يلبس ملابس نسوية رقيقة (هذا نادر) ، أو أنه يجب أن يغرم بالغلمان (ليست هذه هي الحالة دائماً) . . مما يخلق نموذجاً للرجل الشاذ قد يكون بعيداً عن الحقيقة والواقع بمعنى أن الرجل الشاذ أو ذا الميول الجنسية المثلية ، قد يبدو عادياً جداً ورجلاً جداً لكنها نفسه وروحه وعقله التي ترغب إقامة علاقة مثلية مع مثيله الرجل .

تطرح دراسة أخرى مسألة (التناقض الاجتماعي الحاد) حيث يتأكد - خطأ - عند بعض الناس أن الرجل الشاذ - لازم ولا بد أن يمارس الجنس مع رجل آخر ، وهذا هو كل الأمر وأن الرجل الشاذ إذا ما مارس الجنس مع امرأة انتفت مسألة الشذوذ من عنده ، في تلك الدراسة تبين أن 48 في المائة من عينة الرجال الذين وسموا بالشواذ ، مارسوا الجنس الكامل مع نساء في مرحلة ما من حياتهم .

المسألة إذاً معقدة ومركبة وتحتاج إلى أسئلة عميقة تركز على هذا الأمر ، ولا تخرج عن ستة محاور :

1 . الرجال الشواذ جنسياً - المتزوجون - أقل في مقاومتهم النفسية

للضغوط الاجتماعية وأنهم أقل تكييفًا (نفسياً) مع واقعهم المعاش .

2. أن هؤلاء الرجال الشواذ الذين أحسوا بميولهم نحو الرجال ، قبل زواجهم من نساء تزوجوا أصلاً من أجل خفض درجة التوتر المتعلقة بشذوذهم .

3. أن هؤلاء الرجال الشواذ المتزوجين يظهرون تقبلاً للتقاليد العامة ، خلافاً لهؤلاء الرجال الشواذ الذين لم يتزوجوا قط .

4. أن معظم الرجال ذوي الميول الشاذة جنسياً قد تزوجوا قبل سن الـ 25 وأن وحدتهم وعدم قدرتهم على التمازج مع مجتمعهم كانت أكبر الأسباب وراء زواجهم .

5. أن هؤلاء الرجال ذوي الميول الشاذة جنسياً . . قد حاولوا جاهدين تغيير تفضيلهم وإحساسهم الجنسي العام من الرجال إلى النساء ، وبذلوا مجهوداً في هذا الصدد .

6. أن أهم أسباب زواج الرجل الشاذ تكمن في الضغوط الاجتماعية ، الأسرية وأيضاً من المرأة التي قد تكون أحبته وارتبطت به .

ومنه هنا تنبع ثلاثة تساؤلات تتعلق بآثار زواج الرجال الشاذين جنسياً أو ذوي الميول الشاذة :

- (1) أن قسماً كبيراً منهم قد اكتشف ميله نحو نفس الجنس الآخر (المرأة)، وأن زواجه من أنثى بيّن ووضّح وفسّر له الفرق في الرغبة والاتجاه إلى كل من الجنسين، ودرجة رد الفعل الاجتماعي في الحالتين، وكذلك درجة التكيف النفسي قبل وبعد الزواج.
- (2) أن الرجال الشاذين جنسياً، قد أخفوا ميولهم الجنسية نحو الرجال أمثالهم - خاصة - بعد زواجهم وجعلوا الأمر سرّاً مطلقاً.
- (3) أن درجة التوتر العالية، وعدم القدرة على التأقلم الاجتماعي والتكيف النفسي لدى الرجال الشواذ المتزوجين؛ إنما هي نتيجة الزواج وكافة الضغوط المتعلقة به، وليس الخوف أو الفزع أو الحرج من اكتشاف ميولهم الجنسية نحو الذكور.

السؤال المهم هنا هو هل يلجأ الرجل الشاذ جنسياً إلى الانفصال أو الطلاق عن امرأته أحياناً؟ نعم ولكن ليس بدرجة أكبر من الرجال (العاديين)، الذين يتزوجون ويفصلون لأسباب شتى لا تتعلق بالشذوذ أو حتى الميول غير الطبيعية، لكن وُجد أن انفصال الشواذ مرتبط بدرجة أعلى من الاكتئاب وعدم تحمل القدرة على العيش مع امرأة.

من الطبيعي ألا يترك موضوع الشواذ الرجال بدون ضرورة علمية لمناقشة موضوع الرجل الثنائي الرغبة الجنسية Bisexual - أي الرجل الذي يعشق المرأة ويحب الرجل ، بل وله علاقات جنسية كاملة مع كل من الجنسين ، ولا يجد غضاضة في ذلك ، وازدواجي الميل الجنسي يختلف عن (الحُثي) : الإنسان الذي يحمل تشريحياً ، بعض من أعضاء الرجل ، وبعض من أعضاء الأنثى التناسلية وهنا فإن ال-Bisexual- يستمتع بالعلاقة العاطفية والجنسية مع كل من الرجل والمرأة؟

لكن هل يفضل ذاك حباً عن الآخر : تحدد المسألة مجموعة عوامل منها رؤيته لنفسه ، وضعه الاجتماعي ، نشاطاته ، رغباته ، دوره الوظيفي ، الأسري والاجتماعي .

لذلك نقول وبكثير من الحذر يمكن القول أن (عبده) في رواية الأسواني (عمارة يعقوبيان) "ثنائي النشاط الجنسي" لكنه - غالباً ما يفضل المرأة على الرجل ، وإلا لما انتابه ذلك الإحساس العظيم بالذنب ، وذلك الغضب القاتل تجاه رفيقه الجنسي (حاتم رشيد) . . وهو أيضاً غير تقليدي ، لأنه تمكن في وقت واحد من أن ينام مع امرأته لتحمل منه ويستشعر اللذة معها وفي نفس الوقت ينام مع رجل ، نام مع الرجل قبل أن ينام مع امرأته ولا تصيبه العنة ولا النفور . . بل ربما كما هو واضح بين السطور أنه يظل فاعلاً ومستشعراً اللذة الآتية والشهوة الدفينة ، لكن من مضمون ذلك يتبين لنا اصطلاحاً مبهماً ألا

وهو " الثنائي الجنسية الدفاعي " Defense Bisexual أي أنه يدافع عن رجولته بأن تكون له علاقة مع امرأة ويدافع عن شذوذه بإبقاء علاقته مع رجل ، هؤلاء الرجال لا يقرون ولا يودون أن يقال عنهم أنهم شواذ ، يفضلون وصفهم بأنهم طبيعيين ذوي ميول جنسية غريبة؟

في الغرب يجد الرجال الشاذين الشجاعة لإخبار زوجاتهم المرتقبة بشذوذهم وهنا تكون الأمور أكثر وضوحاً وأقل شدة ، أما الرجال الذين يستمرون في الاحتفاظ بأسرارهم ، يتوترون وتصيهم الكآبة والانغماس داخل أنفسهم وهذا ما حدث لـ (عبد ربه) مع زوجته (هدية) في (عمارة يعقوبيان) .

الجنوح (الشذوذ) الجنسي

محاولة تحليلية نفسية للفهم :

نظرية الطاقة النفسية الجنسية (Libido Theory) صاغها فرويد عام (1915م) أكد على أن الدوافع الجنسية الطفولية تبدأ في السنوات الخمس الأولى من حياة الإنسان ، على عكس ما يعتقد الكثيرون أنها تبدأ مباشرة بعد البلوغ . تلك الدوافع لها غرض وهدف وترتبط لا شعورياً بمتناقضات مثل : الإيجابية ، السلبية ، النظر إلى . . واللمس ، السادية ، والماسوشية . الهدف هو جسم الطفل والهدف الخارجي هو صدر الأم .

فهم وتعريف: الجنوح لا يختلف عن الطبيعي في القوة أو محتوى الطاقة الجنسية، ولكن في درجة تثبته وقصوره التام على أغراض معينة، الغير الطبيعي، الجانح، أو الشاذ يعني تفضيله الجنسي لأُمُور وممارسات معينة غير اللقاء الجنسي مع شريكته أو شريكه وللوصول للرعدة (Orgasm).

نتيجة لذلك وأهم عناصر الرغبة التسلطية وثباتها هي أن الشخص ليس له خيار؛ فكل ممارساته الجنسية قهرية تتسلط عليه، على فكره ورغباته بالتالي جسده، وهنا فإن التعبير عن الشهوة لدى (الشاذ) علامة مهمة لثباته النفسي، وأن حياته كلها تقريباً تدور حول هذا المحور، وهنا يجب التفريق بين السلوك الجانح وبين اضطرابات محددة (متلازمة أعراض شاذة) Pathological Syndrome of Perversion.

في الجنوح . . تكون هناك سلوكيات متكررة ثابتة تؤدي إلى الرعدة الجنسية (Orgasm)، كلما تكررت كلما زادت قوتها وتثبتت. كما أن الانشغال الشديد بالمسألة يؤدي إلى الرغبة في النظر أو استعراض الأعضاء التناسلية، وأن يمارس الألم ويحس به، وممارسات أخرى غريبة يكون الهدف منها التوحد مع الجنس الآخر، والنتيجة أن العلاقة الجنسية الكاملة تصبح مستحيلة، غير مشبعة بدون أي أمر غريب أو شاذ.

تصنيفات الجنسوية المثلية

المجموعة الأولى من (الجنسوية المثلية) :

غالبًا ما تكون الممارسات والأحاسيس حبسية الخيال والفكر، لكنها - أحيانًا ما تأخذ أشكالاً خفيفة وسطحية من العلاقة مع الآخر . . أحيانًا ما يهرب (المصاب) . . من علاقة فاشلة مع الجنس الآخر إلى علاقة مثلية مع جنسه الذكري، يحس بالذنب الشديد لممارساته الشاذة جنسيًا ويتألم نفسيًا للغاية، وذلك يؤثر على علاقته بـ (حبسه) . . . ويؤدي إلى هجر (صديقه) له . . . في تلك الحالة توجه إلى محلل نفسي عميق، واستجاب جيدًا للجلسات ولما انتهى علاجه تزوج وأنجب أطفالاً وشق طريقه في الحياة بنجاح : بعد عشر سنوات لم تراوده أي أحاسيس جنسية مثلية (شاذة - غير طبيعية)، ومن وصف الحالة يتضح أنها حالة عادية كلاسيكية نمطية لعُصاب نفسي يستجيب للتحليل والحوار .

هنا فإن حدوث السلوك الجنسي المثلي كعَرَض بديل متعارف عليه عالميًا، ويهتم به المعالجون بمعنى أن العلاج في هذه الحالة يكون سهلاً بمحو وإزالة العرض الأساسي .

في حالة أخرى كان يتم العلاج تحت تعليمات مشددة بالامتناع عن إقامة علاقات جنسية مما دفع المريض إلى نوبات (ربو) مستمرة ومقلقة للغاية، وكأنها تعبير حي عن الصراعات والعدوانية الكامنة داخل

نفسه، وأحياناً ما يقنع المريض نفسه أنه (مثلى جنسي Homosexual) ويتصرف على ضوء هذا الاعتقاد، ومن الطريف أن حالة (البواسير) التي موضعها فتحة الشرج تتكرر في حالات الشواذ المعترضون على ما يحدث وكأنه أيضاً اعتراض من الجسد أو من بؤرة الشهوة البديلة .

المجموعة الثانية من الجنسيه المثليه :

يندرج تحت لوائها كل حالات (الشذوذ) الحقيقي ويكون الاضطراب عميقاً، والدفاعات النفسية والحيل الثانوية، يعم هؤلاء الاكتئاب كعرض حاضر والإحساس بالذنب لا يظهر جلياً كما أنه يؤرق صاحبه .

غالباً ما تتمحور الدفاعات النفسية حول الهروب من إحساس طاغ بالانفصال عن الآخر، رعب من تدمير الذات وتفكك الأنا، وهنا تظهر سلوكيات انفعالية، توحد مع الجنس الآخر، سلوك جنسي مُنحل (لا يرتبط بحبيب أو بشخص واحد)، علاقات عابرة قصيرة الأمد، عدم الخوف من الفضح . (بمعنى لا مانع - مثلاً - من تجربة علاقة جنسية في المراحيض العامة أو في أماكن غير خاصة؟!).

هؤلاء الشواذ الحقيقيون يسعون إلى العلاج النفسي للتخلص من أعراض ومشاكل ومتاعب تتعلق بالعمل أو بحياتهم الشخصية . وفي العلاج هم لا يريدون تحويل رغباتهم من نفس الجنس إلى الجنس الآخر .

العلاج صعب نظراً لتفاعل عدم التأقلم الجنسي مع اضطرابات النفس (الأنثا). وغالباً ما يركز العلاج على أحاسيس الوحدة، العزل، الغربة، العدوانية.

المجموعة الثالثة من الجنسيات المثلية:

(الثنائي الرغبة للذكر والأنثى (Bisexuality))

يجب هنا التفريق بين الثنائية الجنسية الحقيقية، وتلك التي يمكن أن تكون محض خيال فقط، بمعنى الانخراط في علاقات جنسية حقيقية تحدث المتعة والشهوة مع الجنسية.

علماء بأن بكل جزء (ذكري) وكل جزء (أنثوي)، في تركيبة شخصيته، بل وفي الهرمونات وجاء اهتمام الباحثين في هذا المجال بعيداً عن التفسير البيولوجي، وتركز على التوحد مع الجنسين في أن واحد، وتبين من الفحص الطبي النفسي لتلك الحالات (Bisexuals) - أن لديهم صعوبات في علاقاتهم مع الآخرين، في نشاطاتهم الاجتماعية ومشاكل في العمل نتيجة محاولاتهم كبت (أنوثتهم) أو (ذكوريتهم)، تلك التي يحسونها كمصدر تهديد أو خطر لسلوكياتهم الاجتماعية. أن الموضوع مرهق وطويل الباع ويحتاج إلى تفصيل أكثر.

خلاصة القول فيما يخص المثلية الجنسية (Homosexuality): أنها

فسيحة جداً، عميقة للغاية تحتاج إلى تمحيص وفحص دقيقتين بالأخص موضوع الثنائية الجنسية (Bisexuality) مما ينزع عنها الغموض الاجتماعي والأخلاقي، في محاولة للفهم الأصيل والمتحدي، بعيداً عن الاعتقادات الخاطئة والأحكام السريعة المُشينة المتوقعة من هؤلاء (الطبيين والعاديين).

الماسوشية MASOCHISM :

يجب التفرقة بين المازوخي الحقيقي True Masochist وبين ما لديه علامات ماسوشية، الحالة المعروضة حالة حقيقية مازوخية، وهي مشكلة نفسية صعبة للغاية.

لتشخيص المازوخية يجب اعتبار التالي :

- 1- شكوى دائمة واستمرار في الأئين الذي يعكس حالة من المعاناة الداخلية العميقة والمزمنة.
- 2- فكرة قهرية لاستفزاز الآخرين أو استمالتهم لكي يقوموا بالتعذيب وردود فعل عنيفة مريحة للغاية.
- 3- طريقة المشي (الخطوة) تكون غريبة بعض الشيء و(ثانوية) حالة توتر شديدة.
- 4- احتياج مزمن لتدمير النفس وإذلالها.
- 5- احتياج شديد وزائد عن الحدّ للحب يأتي من الخوف من (الهجر)، أو أن (يترك وحيداً)، احتياجه للحب والدفع والحنان

لا حدود له، وغالباً ما يحس الماسوشي بالبرد؛ فهو يفضل السرير الدافئ.

معظم المازوخيين لا يظهرون علامات جنسية (جانحة)

الماسوشية الجنسية:

أهم عنصر في هذا الاضطراب هو التوق الشديد إلى جني الإشباع الجنسي، من تجربة الإذلال أو المعاملة القاسية للغاية، ولقد لوحظ أن عدداً من الناس يتعاملون في إطار سلوكيات (سادية - ماسوشية Sadomasochistic Behaviour).

لكن يجب التفرقة بين من يعاني من خيالات سادية ماسوشية، وبين الماسوشي الحقيقي كما يجب التفرقة بين بعض الممارسات التي قد تبدو فيها بعض السادو ماسوشي خلال التفاعلات الجنسية العادية بين الرجل والمرأة.

التشخيص والتصنيف العالمي للاضطراب يحدد الأمر بأنه اضطراب جنسي متكرر يحوي شهوات جنسية عنيفة، وأفكار وخيالات جنسية مثيرة، مع ضرورة أن يمر الإنسان بتجربة جنسية مازوخية حقيقية (لا متخيلة) يحدث فيها إذلال، ضرب، إهانة، ربط، وما إلى ذلك من دواعي التعذيب، غير أن تلك الرغبات والشهوات تكون معذبة جداً للفرد رغم متعته عند أدائها وتختلف درجات الممارسة الماسوشية وقد تأخذ شكل العض، القطع، الوخز،

الشكّ أو أن يطلب من الطرف الآخر التبول أو التبرز عليه وهناك البعض يؤذي نفسه أثناء الممارسة الجنسية ، إما بتقطيع جسمه مثلاً أو باستخدام صاعق كهربى ، البعض يتورط في ممارسات جماعية حيث يعامل كضحية أو كطفل لا حول وقوة وفي الغرب تقوم بائعات الهوى بأدوار سادية ترضى المازوخيين .

وجزاء من الفعل المازوخي ، هو أن يُخنق السادي الماسوشي حتى يزرق وجهه وتنخفض نسبة الأكسوجين في المخ مما يؤدي إلى (إثارة جنسية شاذة تماماً) - وصفت علمياً بأنها اسفكياً الخنق الجنسي (Sexual Asphyxia) . . وفيها يدخل الماسوشي في إطار عمليات مركبة منها الربط والشدّ والخنق مما يؤدي إلى الحرمان من الأكسوجين ، وقد يتزامن مع ذلك ارتداد ملابس الجنس الآخر .

وهذه تحديداً ممارسات خطيرة للغاية وتحتوي على تخیلات جنسية فظيعة ، ومن ضمن الدراسات التي روجعت في بريطانيا وجد أنه ما بين (150-200) حالة وفاة نتيجة هذا النشاط الجنسي السادي الماسوشي .

لماذا يقبل الناس على مشاهدة الفضيحة؟؟

سحر البورنو الخاص بهذا؟

ما بين النفس والجنس تأتي (ثقافة الصورة) وتستخدم في إطار التكنولوجيا الحديثة ، من استخدام الأسطوانات المدججة CD والكمبيوتر والكاميرا في تحويل المشهد الجنسي الخاص إلى وثيقة يتداولها الناس سرّاً وعلناً في التلصص الجنسي وعقدة الاستعراض ، وقد يكون هذا نوعاً من التشفي والتشوش لدي العامة ، لكن ما الذي يدفع رجلاً ، شاباً ، مراهقاً ، لأن يدس يده في جيبه ليدفع عشرين جنيهاً مرة واحدة لشراء شريط فيديو أو CD ليطلع عليه رجلاً أو امرأة يمارسان الجنس وهو ربما كان في حاجة ليلقي تلك الجنيهاً تحسباً للزمن الأغبر ، أو عله أراد أن يشتري بها كتاباً من معرض الكتاب ، أو أن يعطيها (عيدية) ، أو يقتات بها ، أو أن تكون ضمن ميزانية الكسوة القادمة ، أو يخصصها لدروس الأولاد .

لماذا يصور رجل ما نفسه مع (زوجته) أو غيرها بالكاميرا الخفية ودون علمها ، ولماذا ولع بعض رجال الأعمال الشديد ، بالتردد على صناديق التلصص على بائعات الهوى ، وهن يتعرين قطعة قطعة ويتلوين بمؤخرتهن وصدورهن ، وهو يراقبهن الواحدة تلو الأخرى من فتحة كتف الباب ؟!

لماذا تلجأ فنانة ما - والعهددة على الراوي - لإعطاء صحفي صورتين لها . . صورة للنشر وصورة لغرفة نومه؟! هل هي عقدة الاستعراض ، أم أنها قوة اضطرارية وفعل جبري قسري قهري ، يجبر المتعاملين في المسألة على الاندفاع نحو الشهوة والشهرة والفضيحة؟!

معظم الممارسات الجنسية (من على بعد) بالمشاهدة بالتلصص بالاستعراض تحوي في داخلها (نوعية من العدوانية المختبئة) ، ويكون فاعلها مضطرباً متهيجاً . . والغريب أن هؤلاء الرجال يكونوا (مُستقرين) مادياً وعائلياً ، بمعنى أن لهم زوجة وأولاد ودخل ثابت . . إذاً فلماذا يقبلون على المخاطرة ، على أمور تحوي في بطنها إمكانية نسف كل شيء وضياح كل شيء .

فهل من صورّ نفسه في أوضاع (خاصة) لم يخطر بباله أنها ستقع في يد من ينشرها على الملأ ، أم أنه في العقل الباطن كان يود أن يراه الجميع ، وهو يستمتع أو علّه كان لا شعورياً يود أن يستمتع بما قد يحدث ؛ فهو يحمل في عقله بذرة الخطر والتشويق والرغبة الخفية في الفضيحة . . وكأن الأمر نوع من (الماسوشية) (التلذذ بالألم) ، ويلتقي هذا مع تفضيل الرجل لأن يكون مستلقياً على ظهره وزوجته فوقه الاستمتاع بغير المألوف وتمني أن يكون على شاشات الكمبيوتر والتلفزيون في كل البيوت تقريباً - خصص برنامج القاهرة اليوم أكثر من حلقة - على حدّ علمي لمناقشة أمر الشريط الـ CD وأصرّ البرنامج على مناقشة العموميات .

لماذا يقبل الناس بهذا الشكل وينشغلون بهذا الشكل على متابعة وملاحقة وشراء الشريط ؛ فانصرفوا عن حرب العراق المحتملة ، وعما يحدث في فلسطين المحتلة ، انصرفوا عن حياتهم اليومية وانغمسوا في القضية بل ولهثوا خلفها وتحلقوا حولها!! .

ذكر أحد المشاهدين من الكويت أنه شاهد الشريط الأخير عشر مرات ، وكان يتحدث عبر الهاتف بلغة عربية إسلامية ، وقال فيما قاله أنه حرص على تكرار المشاهدة من أجل الحصول على مناعة ضد الشر والحرام ، ولكي يستطيع أن يهدي ويهتدي الناس من خلال التعلم من الفضيحة (. . .) .

إن من يعشقون (البورنو) يودون الحصول على (جنس خام) ، شيء يشبه الذهاب إلى بائعة الهوى؟! دون أن يكلف نفسه مواجهتها كبشر ، وما يحوي ذلك من إرهاب نفسي وتوتر جنسي شديد ، أو عله ذلك المراهق/ الشاب/ الرجل/ يريد أن يكون (رجلاً مثل كل الرجال) يشترى (الأيقونة) (شريط الفيديو الـ CD) ويختفي في ركن ما ، في غرفة ما ، ليشاهده؟! .

وحيداً (ربما كان ذلك نوع رخيص لشراء امرأة ورجل والتمتع بهما وهما في خلوة ممتدة وخاصة جداً) وهناك نوعية أخرى من الرجال يذهبون سوياً في حفل جماعي ، في نزهة ترفيهية ويضعون الـ CD ويلفون سجائر الحشيش ويدخنونها ، ويملقون في الشاشة

الصغيرة، يضحكون عاليًا، يرمثون على الأرض، يسقطون في الممرات حتى يطلع الفجر، وهذا في حد تصورنا (فعل اجتماعي) يقابل (الفعل الاجتماعي الفاضح)، بالاستيلاء القانوني على (المادة) ثم (تسريبها) ثم (بيعها) ثم (تداولها) ثم (مناقشتها).

إذاً فهي صناعة رائجة، وهي تجارة رابحة، وهي سلوك اجتماعي مما لا شك فيه أنه جانح وغير متسق قيمياً مع أمور كثيرة لكنه - للأسف - متناغم مع بنية مجتمع متوتر انقلبت فيه الموازين واضطربت فيه المؤسسات، وتزعزعت فيه اللحمة الأسرية المجتمعية التي كانت لها في الماضي خطها الأحمر، الواضح جداً.

ويستقي الرجال من الصور والشرائط خيالات شتى وفانتازيا تتلون بلون كل فرد وكل مجموعة بكل مكان وزمان.

دون ليّ عنق طب النفس وعلومها فإن مجرد الاحتفاظ بالـ CD أو شريط الفيديو دون مشاهدتها هو نوع من (الفيتيشة) Fetishism أو الإثارة والهياج والإشباع الجزئي بشكل مادي (أي ليس من لحم ودم) لكنه في حالتنا هذه يحوي صوراً حية لرجل وامرأة من لحم ودم، لكن في حالات أخرى أكثرها الاحتفاظ بالأحذية الكثيرة أو عشق ملابس المرأة أو ممارسة جنس جانح غريب معها ويكون الـ CD وشريط الفيديو، الحذاء ذو الكعب العالي، الملابس الداخلية، (شيء) Fetish بديلاً بلا روح للمرأة يجد فيه الرجل المحروم ضالته ونعمته،

ويجد فيه الرجل المتزوج رائحة من جنس بعيد مع امرأة لا يعرفها
ويتمناها .

السؤال إذن هل بعد فترة نزول الفكرة وتنمحي ، هل يذوب
الوهج - نعم؟! وكأننا في مصر في مصر - في حاجة إلى (حدث)
يشغلنا ، يلهينا ، يرهقنا ، يمتعنا بعيداً عن رتابة الحياة اليومية .

لكننا مما لا شك فيه مجتمع يقوده الحدث Event Driven
Society فمتى سنكون مجتمعاً يحركه التخطيط المنظم والحركة
الداخلية ومجموعة القيم العامة مع الاعتراف الكامل بأن كل مجتمع
سوءاته ودروبه المظلمة وفوائيسه السحرية .

إن حركة الشارع المصري لهاثاً وراء النجوم في جريدة أو شريط أو
CD فضيحة ، يغذيها ذلك الزحام السخيف والشديد من الفضائيات
والتليفزيونات التي تدلل نجوم الفن والمجتمع ، وتصنع منهم تماثيل من
العجوة يأكلها الفقير قبل الغني ، أو تماثيل من الجبس تزين مكاتب
السادة المحترمين ، أو يضعها سواق تاكسي على التابلوه ، أو يرميها
زبال في قاع عربته التي يقودها حمار في بطؤ قاتل داخل شارع راق ،
محاولاً التأني للتلمص على من يطلون من النوافذ شبه المفتوحة ؛
فتدخل رائحة القمامة وتتسلل إلى كل البيوت وتظل هناك حتى بعد
أن يختفي لينتقل كالبطل الدون كيشوتي إلى ميدان . . إلى حارة . . وما
خفي كان أعظم .

كليتوتوه وهذا الجوع الجنسي :

الكل

- بدون استثناء - يتساءل ومعهم الحق؟ كل الحق! .

ما الذي يدعو " بيل كلينتوتون " إلى المقامرة والمغامرة ،
وهو صاحب الجاه والسلطان ، وهو رئيس أقوى دولة في العالم؟!
وما الذي يدعوهُ إلى كل ذلك ، إذا افترضنا ذلك بناء على ما هو
متاح من أنباء وشرائط وشهود؟!

هل هي قوة الجنس الطاغية ، هل هو نوع من الإدمان؟! ولماذا؟!
إذا تخيلنا أن الرئيس الأقوى الفتوة على الشعوب العربية
والشعوب الضعيفة عامة ، في ليبيا وفلسطين والعراق خاصة ، إذا
تخيلناه مستلقياً على أريكة فرويد ، تاركاً نفسه لعنان الاستدعاء الحر
والنداعي المستمر لتاريخ حياته وبطولاته وغرامياته!!

ومسألة أريكة فرويد والاستلقاء النفسي هذا ليس غريباً على
رجال البيت الأبيض ، فجورج بوش السلف الصالح لعننا كلينتوتون ،
قال لمراسلي وكالات الأنباء الذين حاولوا فيما حاولوا أكثر من مرة
(تحليله نفسياً وسياسياً) قال لهم : (لا تضعوني على أريكة التحليل
النفسى)؟! .

القوة . . . ليست بالطبع قوة العضلات ، على الرغم من أن (بيل)
يمتلك جسداً فحلاً ، إلا أن قوة الجاه والمنصب عند الرجل ، مثيرة

وشديدة الإغراء للمرأة، ولكن ترى هل ذلك سببه تلك الحالة المطلقة من العظمة والقوة، وتلك الثقة الزائدة الطاغية بالنفس، وهذا الامتلاك اللا محدود لينابيع الثروة التي لا تحف.

إذا سألت امرأة ما في محيط ذلك الرجل لوجدت أن الإغراء لا يُحتملن وأن الرجل القوي له جاذبية خاصة.

الرجال يسعون إلى القوة، يجرون وراءها. ز حتى لو كانت على حواف قوس قزح وفي قلب ألوانه، وهناك من يقول استناداً على بعض الأبحاث أن الرجال الأقوياء - لسبب غامض - يحدوه البعض إلى ارتفاع نسبة التستسترون في الدم (الهرمون الذكري). . إنهم متدفقون الرغبة والطاقة الجنسية، ويقال أيضاً أنها تلك الدفعة والطاقة الجنسية هي التي تدفع إلى النجاح السياسي، وكأن امتلاك القوة يملأ الوقود الخاص بالطاقة الجنسية.

فالخلف الأسبق - لـ (بيل كليبتون وجون كيندي)، كانت سمعته النسائية عالية، ومؤخراً أصدر كتاب في أمريكا يفصل علاقاته الغرامية، ويقال: إنه إذا لم تكن في محيطه أكثر من امرأة لفترة أطول من ثلاثة أيام أصابه صدام شديد.

وعلى هذا المنوال يجيء ذكر السيناتور (جاري هارت) والفحليين أوناسيس وخابقجي. . ولكن حالة كليبتون تُعد مختلفة عن مثيلاتها من المشاهير والملوك والرؤساء؟! فهي حالة تمر على حدّ السكين، ما

الذي يدعو للمخاطرة والمغامرة بسمعته خاصة مع زوجته وابنته ،
ومن ساندوه ، أعضاء حزبه؟ لماذا يكون - إذا صح ما قيل - غيباً إلى
هذا الحد؟!

السيرة الجنسية للرئيس :

يقول الكاتب جوناثان آلتر أن الأطباء النفسيين ، وعلماء النفس
الذين يدرسون حالة كليتون النفسية والجنسية ، ممنوعون من الإدلاء
بأية أحاديث أو تصريحات في هذا الشأن بأمر القانون المهني ، ولما
سألهم آلتر عن (تشخيص) حالة كليتون امتنعوا عن الإجابة ، لكنهم
لم يؤثر الصمت المطلق ، فلقد أشاروا ببعض الإيحاءات !!
هذه الإيحاءات تركزت على السيرة الذاتية والحيوية (البيولوجية)
لكليتون .

صرح الرئيس الأمريكي في حفل في البيت الأبيض عام 1993 أن
رفاقه كانوا يسخرون منه لوزنه الزائد جداً عندما كان طفلاً (وهو
بذلك ، بالاتجاه إلى كسب الإغراء النسائي ، يغطي نقطة ضعف
حدثت في الطفولة .

وكما قال ابن ستايس ، الكاتب والطبيب النفسي ، وكما كل عقد
الطفولة يصعب إصلاحها تماماً ، أو حلها كلية ، هناك محاولات
لحلها ، ملء فراغها الشاسع ، على حساب الآخر الذي يحبه كليتون ،
ويقال أن كليتون قد خدع امرأته (هيلاري رود هام) . أكثر من مرة

حتى قبل أن يتزوجها، وما يقال أن سلوكه الجنسي، قد تغير بعدما صار رئيساً هو محض هراء، يميل أطباء النفس المؤرخون إلى رؤية اثنين كليتون (بيل الأمل)، و(بيل الساخن).

أسرار عائلته!

تقريباً كل شخص في عائلة كليتون عانى أو يعاني من الاضطراب القهري أو من (الإدمان) في حالة أبيه الحقيقي، وليام بلايث، الذي مات قبل أن يولد (بيل) كان زير نساء. بعض المحللين النفسيين يرى أن مادة الدوبامين الموجودة في مخ الإنسان مرتبطة بالإدمان، بما في ذلك إدمان الجنس، وان هناك نظرية قوية تؤيد أن هذه المسألة تخضع للعوامل الوراثية.

أما زوج أمه فكان مدمناً على الخمر (!!)

وأخوه روجر كان مدمناً على الكوكايين (!!)

وكانت أمه فيرجينيا مدمنة على سباق الخيل (!!)

وإذا عدنا إلى مسألة (العادة القهرية) لوجدنا أن المصاب بها لا يدرك النتائج، كما لو كان تحت التنويم المغناطيسي، وكما لو كان الرئيس الأمريكي مُنوماً، نزعته عنه كل أستار التحكم في النفس وضبطها، العالم النفسي الشهير كارل يونج رأى اللا شعور وكأنه جبل الجليد العائم، له حجم وأبعاد أكبر وأضخم آلاف المرات من

قمته التي يراها الناس ، وعلى الرغم من أن فرويد ويونج قد صارا
موضة قديمة إلا أننا نحتاجهما كثيراً الآن لتفسير بعض الظواهر .

هل يعاني الرئيس من آثار (كيمياء القوة) ، هل هناك علاقة ما ،
كما أشرنا سابقاً بين الشراسة والقوة في ميدان القتال ، أو في قاعات
الاجتماعات .

الدكتور خليل فاضل

باحث وكاتب وطبيب نفسي حُر له
عيادته الخاصة التي يعمل بها كمعالج ومحلل
نفسي وصاحب تجربة رائدة في المسرح النفسي
(السيكودراما) منذ ثماني سنوات .



حاصل على بكالوريوس الطب والجراحة من
جامعة عين شمس ، وحاصل على شهادة الكلية
الملكية للطب النفسي بلندن وزمالة الأكاديمية الأمريكية للسيكوسوماتيك
(طب النفس والجسد) . . صاحب رؤية اجتماعية نفسية تركز على الرصد
المباشر والربط بالعلوم الأساسية المبرهنة بالدليل .

مؤلفاته السابقة

- "التوتر العصبي" - الدار القومية للنشر والتوزيع - بنغازي - ليبيا 1977م.
- الطير يهاجر إلى كون سرمدي - مجموعة قصص قصيرة - الهيئة العامة للكتاب - مصر 1986م.
- الصحة النفسية للأسرة - الدار السعودية للنشر والتوزيع - جدة 1987م.
- "كيف تتغلب على التوتر" - "كيف تتوقف عن التدخين" - "كيف تقوى ذاكرتك" - كتاب وكاسيت - الدار المصرية للنشر والتوزيع، قبرص - القاهرة 1988م.
- "سيكولوجية الإرهاب السياسي" - إصدار خاص - القاهرة 1991م.
- "كل ما يجب أن تعرفه عن الصرع" - الدار العربية للنشر - الدوحة 1991م.
- "البنات والنورس" - مجموعة قصص قصيرة.
- "الاضطراب الجنسي - الأبعاد النفسية للرجل والمرأة" - دار الهلال - القاهرة - أبريل 2002م - الطبعة الثانية 2007م.
- "مشاهد من على كرسي الطبيب النفسي" - الهيئة العامة للكتاب - مكتبة الأسرة - القاهرة - 2004م.
- "شادي عبد الموجود" - مجموعة قصصية - دار ميريت للنشر - القاهرة 2007م.
- (وجع المصريين) - منشورات خليل فاضل - القاهرة - 2008م.